الفصل الأول:

التعريف..

obeikandl.com

المبحث الأول:
تعريف العولمة لغة واصطلاحاً

توطئـــة:

لم تظهر في قاموس أكسفورد للكلمات الإنجليزية الجديدة لأول مرة إلا في عام ١٩٩١ في أمريكا حين وصفت بأنها من الكلمات الجديدة التي برزت خلال التسعينات[١]، وهي كلمة منسوبة إلى " العالم " أي الكون، وليس إلى العلم، ولهذا فهي توصف بأنها شيء جديد، أو نظام جديد يراد به توحيد العالم في إطار جديد واحد، ومن هنا أطلق عليها البعض: النظام العالمي الجديد، ومع أن عبارة النظام الجديد توحي بل وتشير إلى النظام السياسي بشكل خاص إلاّ أن مصطلح العولمة يمثل تداخلاً كثيفاً في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي مجالات التربية والأعراف والتقاليد والدين وغير ذلك كما هو واضح من خلال الكتابات الكثيرة عن العولمة [٢]، بل إنها تجاوزت ذلك كله إلى الحدود السياسية والجغرافية بين الدول، حتى قيل: إنّ العولمة ستجعل العالم يعيش في عصر القرية الكونية الموعودة [٣].

ولأن مصطلح (العولمة) لا زال مبهماً وفضفاضاً في معناه وفي مفهومه، ومستخدماً في جميع مناحي ومجالات الحياة، ولم يجمع مفكرو العولمة على مصطلح

---

(١) شائف علي الحسيني / حديث العولمة وآفاق تطور اليمن / الآفاق للطباعة والنشر، ط ٢٠٠١، ص ٣٥، ورجعت إلى قاموس أكسفورد اللغوي، لعام ١٩٩٤م، فلم أجد تعريفاً لكلمة Globalization

Global: effecting of the whole world the global Effects of pellcetion of global worming:

ورجعت إلى برنامج مايكرو سوفت (١٩٩٣ - ٢٠٠١) فوجدت أن معنى العولمة تعني (أن العمليات ذات الأثر المحلي تصبح عالمية).

Globalization N 1. the process by which social institutions become adopted on a global scale 2. the process by which a business or company becomes international or starts operating at an internationai ievei.

1993 - 2001 Microsoft Corporation. All rights reserved.

(٢) فمثلاً يقال عولمة الاقتصاد - عولمة السياسة - عولمة الاجتماع - الثقافة - الفكر - المرأة - الإعلام - القضايا، وانظر د. موسى أبو الرمش - العولمة والمستقبل مخاطر وتحديات، عن مجلة الكلمة، العدد (٢٥) السنة (٦) ١٩٩٩م، ص ١٠٣.

(٣) شريط كاسيت محاضرة للشيخ العلامة / ناصر الأحمد.

ومفهوم جامع مانع شامل لها، بل اختلفت تعريفاتهم حسب رؤاهم وحسب مشاربهم الفكرية واختلاف وجهات النظر بحسب العقيدة والمرجعية اللتان يتبناهما كل منهم.

ونظراً لكثافة التدويل لهذا المصطلح حتى خرج عن معناه اللفظي البسيط فإن الباحث يجنح إلى التفصيل في تعريف العولمة في مطلبين:

* * * * *

المطلب الأول:
تعريف العولمة من الناحية اللغوية

يأتي اشتقاق كلمة «عولمة» على وزن «فوعلة»، لكن الوزن لا يشير إلى المعنى كما أن الاشتقاق الثلاثي (علم) عالِم عالَم عَولَمَ «عَوْلَمَة» مع زيادة التاء لا يدل في معنى الكلمة على مفهوم مباشر ولهذا وضعت هذه الكلمة، كمصطلح يدل على مجموعة من معانٍ تشكل المفهوم العام الذي يدخل ضمن أساس المعنى الاصطلاحي، فهي لا تعني (العالم - العالمية) ولا تعني (العلم - العلمية) بل يأخذ المصطلح بشيء من المعنيين إذ يدخل في مفهوم العولمة «الشمولية» أي العالمية، ويرتبط المعنى أيضاً بالثورة العلمية التكنولوجية الشاملة أي بالحركة التنويرية العالمية، وهنا نبقى ضمن المفهوم الإيجابي للعولمة، لكن العولمة تحتوي على بعض الجوانب السلبية الناتجة عن ربط المعنى بالشمولية والتسلط، أي تسلط الدولة المهيمنة تكنولوجياً أو علمياً حيث ترتبط الكلمة في بعض جوانبها بمفهوم «الإمبريالية»، التي تمثل أعلى مراحل تطور الرأسمالية وهيمنتها ضمن عالمية الشركات الاحتكارية الكبرى المتعددة الجنسيات، والتي لا تعرف حدوداً جغرافية، أي أنها تخرج عن مفهوم الاستعمار الذي يرتبط بالهيمنة والسيطرة في حدود جغرافية وبانتماء بشري محدد.

وكلمة إمبريالية تختلف عن معناها الأصلي اللاتيني «Lmperium» «السلطة» لكن المصطلح يملك علاقة مع معنى«الهيمنة» المرادفة للسلطة بينما كلمة «عولمة» تبتعد عن المعنى الأساسي الاشتقاقي، ومن هنا يدخل في ضمن مفهومها معاني الهيمنة الفكرية والثقافية، شمولية فكر وثقافة وحضارة الآخر الأقوى، أي حضارة القوة العظمى المسيطرة المهيمنة اقتصادياً وفكرياً، مما ينتج عن ذلك استلاب حضاري يؤدي إلى ربط

اقتصادي والعكس، ومن هنا يتجلى الربط واضحاً بين مفهوم الإمبريالية كسيطرة عالمية للرأسمال وبين العولمة كسيطرة عالمية للرأسمال والفكر والثقافة معا، وعلى هذا الأساس تظهر بعض الجوانب السلبية في معنى المصطلح الجديد(١).

والعولمة واحدة من ثلاث كلمات عربية جرى طرحها ترجمة للكلمة الإنكليزية «Globalization» والكلمتان الأخريات هما «الكوكبة» و«الكونية» وفي اللسان العربي كلمة عولمة من «العالم».

و«العولمة» في اللسان العربي من «العالم» ويتصل بها فعل «عَولَمَ» على صيغة «فَوْعلَ» وهي من أبنية الموازين الصرفية العربية، والملاحظ على دلالة هذه الصيغة أنها تفيد وجود «فاعل» يفعل هذا ما نلاحظه على صيغة «Zation» في الإنكليزية على خلاف صيغة «Ism» في«Globalism» التي تعنى العالمية (٢).

(والعولمة) هي إحدى المقابلات العربية لكلمة «Globalization» (٣)، ولمثيلاتها في اللغة الأوروبية، التي تدل على مشروع لمركزة العالم في حضارة واحدة (٤)«ويقال أن أصل إطلاقها في اللغة الإنجليزية «Globalization» إكساب الشيء طابع العالمية To - make Worldwide in وفي العربية هي لفظ جمعُ العالم: الخلق: العوالم قال تعالى:{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً} (٥).

ومن الباحثين العرب من اختار لفظة الكونية في مقابل كلمة «Mondialiyation» أو «الكوكبية» في مقابل كلمة «Planetauixation» ولكن لفظة «العولمة» أصبحت

---

(١) د. محمد قدوح اللغة العالمية وإعادة التعريف مشكلة المصطلح عن الشاهد، مجلة شهرية، بيروت، العدد (١٧٩ - ١٨٠) تموز - آب (٢٠٠٠) ص ٩٧ بتصرف.

(٢) أحمد صدقي الدجاني، تعقيب في كتاب العرب والعولمة على كلام، أ - السيد ياسين، ص ٦٢ وانظر شانف على الحسيني / حديث العولمة وآفاق تطور اليمن، الآفاق للطباعة والنشر، ط ١ / ٢٠٠١م ص ٣٦..

(٣) أ.د/ سالم بن عبد الجبار آل عبد الرحمن، المنتدى، مجلة يمنية، العدد (٦١) جماد أول سنة ١٤٢١هـ ص ٥٠، طوق العولمة عن مطامن العولمة - آفاق معرفية العدد (٢٣) ١٩٩٧م للباحث، محمد عابد الجابري، عن العرب والعولمة، ص ٣٠٠.

(٤) أحمد الشهاب نحو تناول علمي لمفهوم العولمة عن مجلة الكلمة الصادرة عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، قبرص، العدد (٢٥) السنة (٦) ١٩٩٩م، ص ٥٦.

(٥ الفرقان آية (١).

الأكثر شيوعاً ورواجاً من غيرها، والعولمة في اللسان العربي تأتي مشتقة وهي كلمة لها مثيلات - من حيث الصيغة الصرفية - في اللغة العربية، فمن نظائر عولمة: حوقلة [١] بمعنى الإعياء والضعف، وعومرة [٤] بمعنى الاختلاط والجلبة وجمع الناس، وحبسهم في مكان وكوكب كوكبة [٥] أيضاً بمعنى الجماعة، والنورج [٦] والنيرجة بمعنى: الاختلاف إقبالاً وإدباراً، وكثر هذا الوزن في كلام المحدثين، فقالوا: كوكبة، وبلورة [٧]، وحوسبة [٨] وغيرها من الكلمات[*].

وافترض لها الدكتور / عبد الصبور شاهين وهو عضو مجمع اللغة العربية فعلاً هو عولم يعولم عولمة بطريقة التوليد القياسي: (مع التحفظ على بعض كلامه من حيث الوزن والصيغة) فقال: «إن كلمة» «عولمة» تأتي على صيغة فعللة وأضاف: وإنّ هذه الصيغة تأتي للتعبير عن مفهوم الإحداث والإضافة، وهي مماثلة في هذه الوظيفة لصيغة (التفعيل) وتستعمل الصيغتان مقابل الكلمات التي تنتهي باللاحقة(ion) لإفادة المعنى نفسه كما نجد ذلك في كلمات مثل (Capitaliyation) وهي الرسملة على وزن(الفعللة)، وتعنى إحداث الاتجاه نحو الرأسمالية مثل(Eygptioniation) بمعنى التمصير، أي صيغ الشيء بصبغة المصرية، ويضيف الدكتور شاهين قوله: «تلكم هي القاعدة السليمة في معاملة أمثال هذه الكلمات، فإذا جاءت كلمة «عولمة»وجب حملها على معنى الإحداث أو الإضافة في مقابل (Glob - alization) لا على معنى العنونة وتسمية الاتجاه المقابل لمصطلح (Globalism) الذي يقابله في العربية السليمة صيغة المصدر الصناعي «العولمية» وهو ما نوحي به لمن يحتاجون إلى استخدام المصطلح بوجه عام».

ثم بدأ يسوق أدلة يقرر بها كلامه فقال: إذا رجعنا إلى استعمال العربية لصيغة الفعللة فسنجد من أمثلتها ما يجيء من فعلٍ أصلي رباعي مثل: دحرج دحرجةً، وبعثر بعثرةً، ومنها ما يجيء من المعرّب: مثل بستر، بسترةً، وتلفز تلفزةً، ومنها ما يجيء من المنحوت، مثل بسمل بسملةً وحمدل حمدلةً، فإما العولمة مصدراً فقد جاءت توليداً من

---

(١)، (٤)، (٥)، (٦) انظر: الفيروز آبادي - القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ط٣ / ١٩٩٣، ص ٧٤، (٥٧١) (٦٨)، ٢٦٥).

(*) د. يوسف القرضاوي - المسلمون والعولمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية ط ١ /١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٩.

كلمة عالم، ونفترض لها فعلاً هو عولم يعولم عولمة بطريقة التوليد القياسي [١].

وهذا د. الجابري يعتقد أن عولمة كلمة تدل على تحويل الشيء إلى وضع آخر، وهذه الصيغة كثيرة الاستعمال في اللغة العربية ثم يعقد د / الجابري مقارنة مفيدة بين كلمة «عولمة» و«خوصصة» ليصل بمقارنته هذه إلى أن الخوصصة إنما هي شرط من شروط العولمة، وهي تقود إلى العولمة الحقيقية، ويرى الباحث كوجهة نظر أن في كلام الجابري واقع حال ومشاهد وهو كلام وجيه حيث يقول:

(إن الصيغة الصرفية لكلمة "عولمة" المقابلة لكلمة "فوعلة" تدل على تحويل الشيء على وصفية أخرى مثل "قولبة" من قولب، أي وضع الشيء في صيغة قالب... إلخ وهي صيغة مصدر لفعل يشتق من الاسم (قولبه من قولب من قالب، ويستعمل الكثيرون اليوم "أسلمة" من أسلم ومن إسلام)[٢]. وهو يذهب إلى أن كلمة عولمة لم تستعمل في المغرب العربي، بل استعملت كلمة خوصصة، حيث قال:

(بالمقارنة بكلمة خوصصة التي لم تستعمل على نطاق عام، بل بقي استعمالاً خاصاً بدول المغرب التي تستعملها لأداء معنى المصطلح الأوروبي الحديث (Privatization) التي تعني نقل ملكية الدولة إلى الخواص، وفي بعض دول المشرق تستعمل كلمة «خصخصة» وفي بعضها «تخصيص» وفي هذا نوع من «العمل الوحدوي» على صعيد اللغة والمصطلح)[٣].

يضيف أن: «الخوصصة» ليست مشتقة من فعل خصّ يخصّ حتى نقول «تخصيص» بل من «خاص» «خاصص» مفرد خواصّ. أما «خصخص» فلا أصل لها في الأسماء ولا في الأفعال... و«العولمة» على هذا الاعتبار هي وضع

---

(١) د. عبد الصبور شاهين - في العولمة جريمة تذويب الأصالة عن المعرفة مجلة شهرية، تصدر عن مؤسسة= =أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع (الرياض) العدد ٤٨ ربيع أول ١٤٢٠هـ - ص٨٢.
وانظر هذا المعنى عند د. بركات محمد مراد - ظاهرة العولمة رؤية نقدية، كتاب الأمة سلسلة دورية عن وزارة الأوقاف القطرية والشئون الإسلامية - قطر (العدد ٨٦) ذو القعدة ١٤١٢هـ - السنة (٢١) ط ١/ ٢٠٠١م، ص ٩٦.

(٢) د محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر مركز دراسات الوحدة العربية، ط١/١٩٩٧م، ص١٣٥.

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

الشيء على مستوى «العالم» مثلما أن الخوصصة هي وضعه على مستوى الخاص أو الخواص. وهذه العلاقة على مستوى الوزن الصرفي اللغوي تعززها علاقة أخرى أكثر أهمية تقع على مستوى الدلالة والماهية، فالخوصصة خطوة نحو العولمة أو هي شرط من شروطها(١).

ثم يرجع على كلمة العولمة فيقول «العولمة» ترجمة لكلمة «Mondialisation» الفرنسية التي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي أي نقله من المحدود المراقب إلى غير المحدود الذي ينأى عن كل مراقبة، وهي في الأصل ترجمة للكلمة «Globalization» الإنكليزية التي ظهرت أول ما ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية وهي تفيد معنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل. وبهذا المعنى يمكن الحدس أو على الأقل الافتراض، أن الدعوة إلى العولمة بهذا المعنى إذا صدرت من بلدٍ أو جماعة فإنها تعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة وجعله يشمل الجميع: العالم كله (٢).

بل إن البعض يشير إلى أن المشكلة لا تكمن في قصور اللغة العربية عن نقل المصطلح الأجنبي الواحد في حين أنها مشكلة وقضية في اللغات الأخرى، إنما يكمن العيب في أن: البداية هو المفهوم الغربي الوافد، والتعثر في إيجاد مرادف له بالعربية، وقد تم نقل لفظ «Globalization» الإنكليزية إلى الفرنسية «Mondialization» ولم يكن في ذلك أي قصور في اللغة الفرنسية بل إن لفظ العولمة مشتقة من عالم الذي يقابل (World) وليس من الكوكب الذي يقابل (Globe) مما يجعل البعض يفضل كوكبة على عولمة، ولفظ(العالم) لم يرد في القرآن في حين ورد لفظ (الكوكب) (٣).

* * * * *

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
(٢) د الجابري المرجع السابق ص ١٣٦-١٣٧.
(٣) د / حسن حنفي في - ما العولمة، عن دار الفكر دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١/١٩٩٩م، ص ٢١، وانظر إسماعيل صبري عبد الله: العولمة والاقتصاد والتنمية العربية (العرب والكوكبة)، بحث مقدم للندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ضمن كتاب العرب والعولمة الصادر عن المركز، ط ٢، ١٢/١٩٩٨م، ص ٣٦١.

المطلب الثاني:
تعريف العولمة من الناحية الاصطلاحية

يعتبر مصطلح العولمة من جملة المصطلحات التي وصلت إلينا مع كثير من سابقاتها من المصطلحات، والتي تلقتها المجتمعات الإسلامية والعربية بالشرح والتحليل مثلها مثل - العلمانية - الرأسمالية - الإمبرالية - الحداثة - ما بعد الحداثة... إلى غير ذلك من المصطلحات ولقد تباينت وتعددت الآراء والتعاريف والمفاهيم التي تناولت هذا المصطلح أو هذه الظاهرة، ونتيجة لتعدد هذه التعاريف، فإن الباحث يفضل أن يختار نماذج منها كمجموعات مرتبة، ومعنونة حسب ما يغلب عليها من بعد. ولأن البعد الاقتصادي كان قد حظي بأوفر نصيب من التعاريف ثم يليه البعد السياسي، وعلى هذا فإن ترتيب هذه التعريفات كما يرى الباحث سيكون بحسب الأولى والأكثر شيوعاً.

العولمة من الناحية الاقتصادية:

لما كان تعريف صندوق النقد الدولي للعولمة من أهم التعاريف، حيث إنه ينبثق ممن له اليد الطولى في صياغة هذا المصطلح تعريفاً ومفهوماً وإخراجاً، فإن الباحث يستحسن البدء بهذا التعريف لمعرفة وجهة نظرهم إلى العولمة، ومن موقع القيادة، وكيف ينظر المسلمون والعرب إليها من واقع التبعية الساذجة، وقد تبنى الصندوق هذا التعريف الذي يذر به الرماد على العيون ليجعل من العولمة تعاوناً اقتصادياً بين أطراف وكأنها نديّة، حتى يبدو كأن الجميع راضون بهذا التعاون وعلى هذا الأساس فقد جاء تعريفها بأنها: «التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم والذي يحتمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود إضافة إلى تدفق رؤوس الأموال الدولية والانتشار الواسع للتقنية في أرجاء العالم كله» [1].

ويعرفها السيد ياسين بتعريف جوهري يمثل ثلاث جوانب مهيمنة يُبرز فيها الجانب الأهم في العولمة وهو الجانب الاقتصادي فيقول: إنها «سهولة حركة الناس والمعلومات

---

(١) د. ما نع الجهني - العولمة وتأثيرها على العالم الإسلامي عن صحيفة الرائد - الهند، ١٣ ذو الحجة ١٤١٩هـ ص ٤، د / قاسم المقدادى- العولمة إلى أين - ملف العولمة الثقافية في مجلة الكويت العدد ١٨٩، ربيع الأول ١٤٢٠هـ - يوليو ١٩٩٩م ص ٤٦.

والسلع بين الدول على النطاق الكوني» [1].

وفي الأدبيات الغربية تعرف بتعريف يبدو محايداً ولا تتضح فيه علاقة التابع بالمتبوع (العلاقة غير المتكافئة)، تحت ستار التبادل بين المجتمعات الإنسانية، وهذا فإنه دل فإن يدل على التبعية الواضحة لدى العالم الثالث حتى في الأقوال فينقلونها كما هي من غير تأمل، ولا حتى إبداء وجهة نظر حيالها.

فتعرف لدى الغربيين بأنها: «زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الإنسانية من خلال عملية انتقال في السلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات»[2]فأين التبادل في المعلومات والأشخاص (الهجرة) إذ تمنع الهجرة الآن من الجنوب إلى الشمال وأين تبادل التقنيات.

وهذا تعريف شبيه بما هو موجود في الأدبيات الغربية ولكن مع شيء من التركيز والإيضاح للجانب الاقتصادي البحث حسب د / محسن الخضيري إذ يقول: «إنها حرية حركة السلع والخدمات والأفكار وتبادلها الفوري دون حواجز أو حدود بين الدول وهي شاملة حرية نقل واستثمار جميع عوامل الإنتاج من أيدي عاملة، ورأس المال، وإدارة، وتكنولوجيا، وأرض، موارد أرضية قابلة للاستثمار والاستغلال» [3].

والملاحظ على التعريف أنه يفصح عن الجوانب التي تروج لها قوى العولمة من حرية حركة السلع والخدمات والأفكار وحرية نقل الأيدي العاملة وغيرها من عوامل الإنتاج مع أنه لا يطبق من هذا كله شيء عدا حرية حركة السلع ومن جانب الطرق الأقوى أي من الشمال إلى الجنوب وما عدا ذلك فهو من قبيل الشعارات والأقوال الدعائية إذ الحال خير شاهد ولا زالت الأيدي العاملة تمنع من الهجرة إلى دول الشمال

---

(١) عن السيد ياسين - العولمة والطريق الثالث، بيربت للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٨، إلا أن هنالك سهو في الطبعة ويوجد نفس البحث في كتاب العرب والعولمة الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية ط٢/ ديسمبر ١٩٩٨م، وفتحي يكن - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط١ / ٢٠٠٠م ص (٢٣).

(٢) انظر : عمرو محيى الدين - العرب والعولمة،ص ٣٥.

(٣) د. مانع الجهني - العولمة وتأثيرها على العالم الإسلامي عن صحيفة الرائد - الهند، ١٣ ذو الحجة ١٤١٩هـ ص ٤، د / قاسم المقداد في - العولمة إلى أين - ملف العولمة الثقافية في مجلة الكويت العدد ١٨٩، ربيع الأول ١٤٢٠هـ - يوليو ١٩٩٩م ص ٤٦.

تحت حجج واهية مع التحذير المستمر في هذا الشأن..

ولا زالت دول الجنوب ترفع شعار التنمية في حين أن فترة الاستقلال التي مرت عليها قد مضى عليها عقود من الزمان وهي لا زالت غير مستقرة بل ومرتبطة بدول الاستعمار أي بدول قوى العولمة الأمر الذي يدل على أنه الاستقلال لم يكن كاملاً وشاملاً.

وقد وصفت بأنها مرحلة تطورية لم تخضع أبداً للهيمنة والمركزية والتسلط لا دخل لها بشيء من ذلك بل هي المنافسة الصرفة في التجارة والمال والنجاح فيها يخالف من يملك المقدرة على التحرك السريع برأس المال الوفير.

ومن هنا وصفت العولمة على سبيل التعريف بأنها وصفت بأنها: «مرحلة من مراحل تطور المجتمع البشري تتسم باللامركزية وترتبط بالتخلي عن الهيمنة، وتبرز مظاهر واسعة من المنافسة الشديدة، وعقد الصفقات المالية السريعة، وقدرة رأسمال على التحرك السريع من موقع إلى آخر وتشكيل جماعات ومؤسسات دولية تتقاسم اهتمامات مشتركة» (١).

وفي الواقع فإن هذا التعريف يتضمن إشارات إلى بعض المظاهر التي تعكس روح التطور الذي ينتج عن بعض اللمسات الضيقة مثل التخلي عن المركزية والهيمنة التسلطية ولكن هناك ومن وراء هذه المظاهر المنافسة الشديدة بين الدول الكبرى متمثلة في الشركات التي تقوم بعقد الصفقات المالية السريعة عن طريق المضاربات والتجارة بالأسهم وعليها فإنها تقوم بتشكيل مؤسسات تتقاسم هذه الاهتمامات بالشركة بين الكبار.

وتعنى أيضاً في إشارة إلى قالبها الاقتصادي الضيق «الانتشار الواسع والعالمي للمبيعات ومنشآت الإنتاج وعمليات التصنيع» (٢).

وكما عرفت بأنها: «القوى التي لا يمكن السيطرة عليها للأسواق الدولية والشركات

---

(١) محمد بن سعيد سهو أبو زعرور، العولمة ماهيتها نشأتها أهدافها، الخيار البديل، دار البيارق، ط١/١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ص١٤ - ١٥

(٢) د. ريتشارد هيجوت - العولمة والأقلمة اتجاهان جديدان في السياسة العالمية، صادر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١ / ١٩٩٨م، ص ٢٨.

المتعددة الجنسية التي ليس لها ولاء لأي دولة أو قومية» [1].

غير أن هذا التعريف لم يقتنع به الباحث إذ أن الشركات المتعددة الجنسية لها ولاء لوطنها الأم الواقع أصلاً في الدول الصناعية الكبرى المسيطرة على هذه الشركات المروجة للعولمة.

كما عرفت بحسب معناها الظاهري بأنها: «ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، أو انتقال رؤوس الأموال، أو في انتشار المعلومات والأفكار» [2].

ولكن كما أشرت سابقاً: التبادل غير المتكافئ خاصة أنه من قبيل التبادل بين الدول القوية والدول الضعيفة في العالم الثالث وخاصة الدول الإسلامية.

وكما عرفت بأنها إحدى: حقائق الحياة العصرية التي تعكس توصيفاً لمجتمع شديد التعقيد ذي تطور تكنولوجي متعدد الأبعاد، وحركة سريعة في العمل والانتشار ومنافسة كبيرة على الفرص المتاحة في الأسواق العالمية» [3].

والمستفيد الأكبر في هذا التوصيف بالطبع هي قوى العولمة (الأقوياء والأغنياء وسرعان الحركة) وهذا بالطبع لا ينطبق على أي من دول العالم الإسلامي ولا العالم الثالث أبداً.

وعرفت بأنها: «اندماج العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة، وانتقال الأموال والقوى المعاملة والثقافات والتقنية ضمن إطار من رأسمالية، وحرية الأسواق ومن ثم خضوع العالم لقوى السوق المالية مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة» [4].

وفي التعريف إشارة واضحة إلى الانتقاص من سيادة الدولة القومية وإن كان هناك من..... ذلك إلا أن هو الواقع في دول الجنوب وخاصة الدول الإسلامية والعربية

---

(١) رعد كمال الحيالي / العولمة وخيارت المواجهة، مجلة النور، العدد (١٠١) جمادى الأول ١٤٢٠هـ، ص ٣٧، المرجع السابق نفس الصفحه.
(٢) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٤) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

العولمة من الناحية السياسية:

ثمة تعريفات أيضاً كتبت وصيغت في العولمة فغلب عليها الجانب السياسي وكما اعتبرت:

في بعض معانيها انفتاحاً اقتصادياً فقد اعتبرت كذلك في الجانب السياسي ومما يشير إلى ذلك التعريف الآتي: «تعنى العولمة انفتاح الفضاء السياسي نتيجة تآكل الحدود بين الشؤون المحلية والخارجية» (١).

وهناك صيغة تشبه إلى حد ما الصيغة الأولى إلا أنها تحمل معنى آخر يتضمن دلالة نشير إلى أن هناك استسلام وإغفال للحدود كما جاء على لسان أحد الغربيين أنفسهم العولمة فإنها:

«لا تولي أهمية للأرض والحدود بل توسعهما يعكس المحلية» (٢).

وتعتبر العولمة عند البعض مزيجاً متبايناً من الروابط والعلاقات المتداخلة التي تتجاوز الدولة القومية (وضمنياً المجتمعات) وهو ما يصنع النظام العالمي الحديث.

فعرفت تحديداً بأنها «عملية يمكن أن يترتب عليها أن يكون للأحداث والقرارات والأنشطة في جزء ما من العالم نتائج مهمة بالنسبة إلى الأفراد والجماعات في أجزاء أخرى بعيدة من الكرة الأرضية (٣).

وسلك البعض مسلكاً صريحاً من غير أي التفاف أو دبلوماسية من حيث اعتبارها امتداداً للاستعمار القديم فقال: (هي ما اعتدنا عليه في العالم الثالث ولعدة قرون أن نطلق عليه الاستعمار» (٤).

كما اعتبرت عند البعض بأنها علاقة قوى مهيمنة وطبقة مسحوقة ومحكومة وأنها

---

(١) عن د/نايف على عبيد - العولمة والإقليمية مشاهد وتساؤلات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١/٢٠٠٠م ص٥.

(٢) د. ريتشارد هجوت - العولمة والأقلمة اتجاهان جديدان في السياسة العالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ط١/١٩٩٨م، ص ٨.

(٣) عن د. ريتشارد هجوت - العولمة والأقلمة اتجاهان جديدان في السياسة العالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ط١/١٩٩٨م، ص ٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣.

علاقة ذلك وانقياد وخضوع فقال: بأنه «الدرجة العليا في علاقات الهيمنة، بل هي التبعية الكاملة للنظام الليبرالي» (١).

العولمة من الناحية التقنية:

وأما من الناحية التقنية فقد صيغت عدة تعاريف تبدو فيها محاولة إظهار العولمة أنها بعيدة عن معاني التبعية والانقياد والخضوع والاستسلام، بل هل محض تطور علمي وتقني لا صلة له بالسلوطية أو المركزية أو الاستعمار، ولكن يبدو إغفال تأثير الحضارات على بعضها البعض أو تلاقحها أمراً متعمداً حيث أظهرت هذه التعريفات أن أمر العولمة إنما هو ثورة معلوماتية تقنية، وثورة اتصالات لا تأثير فيها للهيمنة ولا للسيطرة وإنما هو تقريب الحدود وذوبانها أو قل إذابتها وتقارب الزمان حتى صورة العولمة بناءً على ذلك على أنها فاعل أساس في جمع العالم كله في قرية واحدة من حيث انتشار الأخبار ووصولها بسهولة ويسر من خلال ثورة الاتصالات المعلوماتية فقط.

ومن هذه التعاريف على سبيل المثال لا الحصر: «إنها نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم» (٢).

ثانياً : وإنها: «تحول العالم إلى قرية كونية بفعل تيار المعلومات«Informative» (٣).

ثالثاً: «تتجسد العولمة في نشوء شبكات اتصال عالمية فعلاً تربط جميع الاتصالات والبلدان والمجتمعات وتخضعها لحركة واحدة» (٤).

رابعاً : وتعني أيضاً: «الدخول بسبب الثورة المعلوماتية والتقنية والاقتصادية معاً في طور من التطور الحضاري ليصبح فيه مصير الإنسانية موحداً أو نازعاً للتوحد»

---

(١) فتي يكن - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٢.
(٢) رعد كمال الحيالي - العولمة وخيارات المواجهة مجلة النور(١٠١)، مرجع سابق.
(٣) د / محسن الخضيري - العولمة مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللا دولة ص١٧، مرجع سابق.
(٤) د. برهان غليون - ثقافة العولمة، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١ /١٩٩٩م، ص ١٦.

(١).

خامساً : وهي أيضاً: «تَدفُّق أنظمة تكنولوجية معقدة لا تعترف بالحكومات والدساتير وحتى القوانين، وهي حالة بيروتراطية لا تحمل جنسية أو هوية أو تأشيرة دخول» (٢).

سادساً وهي أيضاً: «حركة جديدة تبرر داخل العلاقة الدولية من خلال تحقيق درجة عالية من انتشار المعلومات والتجارب التقنية والعملية يتزايد فيها دور العامل الخارجي في مصر الأطراف الوطنية المكونة لهذه الدائرة» (٣).

صحيح أن هذا التعريف يولي مسألة المعلومات أهمية بالغة وهذا أمر واقع ومتحقق الآن وإن كانت هذه التعريفات أيضاً لا تهمل الجوانب الأخرى المؤثرة في إظهار العولمة، إلا أن المعلومات هي الأهم الآن فالمسألة في هذا الزمن مسألة امتلاك المعلومات والمعرفة مع العلم أن الإشارة الخفية تظهر للمتأمل في سير غور التعريفات السابقة أن هناك أيدي خفية متمثلة في المركز وتتعامل مع الأطراف لتكتمل بهم دائرة التأثير والتفاعل.

العولمة من ناحية المنشأ:

وقسم من التعريفات جاءت على ألسنة قائليها من غير التفات إلى أي من هذه المجالات، بل جعل المنشأ هو الأصل في التعريف باعتبار الدولة الداعية لها والمتربعة على عرش النظام العالمي الجديد في يوم أن انتهت الحرب العالمية الثانية إلى اليوم، بغض النظر عن الفترة التي كانت تسمى بالحرب الباردة، حيث كان السباق فيها سباق تسلح فقط.

وفي الحقيقة فإن جلّ هذه التعريفات في نظر الباحث لم تخطئ الهدف ولم تحد أو تزغ عن الحقيقة المرة التي يعيشها العالم الإسلامي والعربي في ظل الهيمنة القطبية الواحدة، وفي ظل غياب المارد الإسلامي وهي في معظمها تصب في سياق الهيمنة

---

(١) محمد بن سعيد سهو زعرور - العولمة ماهيتها نشأتها أهدافها الخيار البديل، دار البيارق، ط ١/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص١٥.

(٢) فتحي يكن - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة ط ١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ١١.

(٣) د. برهان من شبكة الإنترنت http://www.sis.gov.eglchildl

والتسلط،ومن هذه التعريفات على سبيل المثال لا الحصر:

إن العولمة هي: «الوجه الأخر للهيمنة الإمبريالية على العالم تحت الزعامة المنفردة للولايات المتحدة الأمريكية» (١).

وعرفت بأنها: (الوجه الأخر للهيمنة الإمبريالية على العالم تحت الزعامة المنفردة للولايات المتحدة الأمريكية» (٢).

كما اعتبرت بأنها: «صياغة جديدة لنظرية ملء الفراغ التي فرضت على مسرح الساحة الدولية قبل خمسين عاماً ثم أعيدت الآن بما يتلاءم ومقتضيات الوضع العالمي الجديد وفق ما يستجد من تطلعات القوة التي خرجت منتصرة من الحرب الباردة» (٣).

وبعبارة موجزة عرفها الجابري بقوله بأنها: «تغريب العالم تحت قيادة أمريكا»(٤)

ونجد نفس المعنى عند الطرابيشي إذ يقول بأنها: «أيدلوجية بصورة مباشرة تعبر عن إدارة الهيمنة على العالم وأمركته» (٥).

وهي عند كثير من العرب محض مرادف للأمركة فهذا غليون يعتبرها بأنها: «الاسم الحركي للأمركة» (٦).

وبحسب محمود عودة المصري فهي: «المعنى الحقيقي للعولمة " الأمركة "» (٦).

العولمة من الناحية الـــتأريخية:

وهنا جنح البعض إلى تعريفها كظاهرة أو نمط يعبر عن درجات التطور الطبيعي

---

(١) سعود ظاهر، عن مجلة النور العدد (١٠١)، ص ٣٧، مرجع سابق.
(٢) هشام العياج عن المستقبل العربي العدد (٢٤٧)، سبتمبر ص ٥٢.
(٣) د. عبد العزيز التويجري، مجلة الإسلام اليوم الصادرة عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو ((Isesco)) العدد (١٥)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، وانظر رعد العولمة وخيارات المواجهة، عن مجلة النور، العدد (١٠١) ص ٣٧، مرجع سابق، د. محمد حوات، العرب والعولمة شمولية الحاضر وغموض المستقبل، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢٠٠٢/١م، ص٢١٣، وانظر: د:بركات محمد مراد ظاهر،العولمة رؤية نقدية ص٨٤ مرجع سابق.
(٤) روجيه غارودي، العولمة الواقع.الجذور البدائل تعريب د.محمد البسيطلى،دار الشوكانى للنشر والتوزيع، صنعاء ط١٩٩٨ م
(٥) د. الجابري، وانظر نفس المعنى عند د. محمد مراد، ظاهرة العولمة رؤية، ص ٨٤، مرجع سابق،
(٦) جورج طرابشي، العولمة وانعكاساتها على الثقافة العربية، عن البحرية العثمانية.

للحضارة من ذلك مثلاً :

عرفت بأنها: «ظاهرة تطور طبيعي للحضارة منذ أقدم الحقب التأريخية، حيث انتقلت تقنيات الثورة التقنية المرتبطة المساة بالعصر الحجري، ثم التقنيات المرتبطة بالعصر الحديدي فالزراعي والتي بدأت من عدة آلاف السنوات قبل الميلاد، واتسمت الآن بكثافة المبادلات بين البلدان والمناطق وسرعة الانتشار في قطاع التمويل والعمليات المالية والمعلوماتية والثقافية وكذلك الأسواق [١].

وفي نفس السياق يميل أ. د. التميمي إلى أنها: «نمط يعبر عن درجة التطور في مجتمع ما، وتأثيرات هذا التطور خارج حدود الإقليم أو الوطن» [٢].

كما يميل إلى معنى قريب من هذا العامري حيث يقول بأنها: «مرحلة زمنية تسعى من خلالها الرأسمالية إلى تجاوز عقدتها الحضارية من خلال جعل تطورها التقني المعيار الذي به تفرض الهيمنة المطلقة على العالم بغض النظر عما يسود فيه من معتقدات، روحية وقيم وأخلاقيات حضارية وتاريخية موغلة».. [٣].

العولمة من الناحية الاجتماعية:

غير أن هناك من اعتبر العولمة مسألة اجتماعية وتأتي مسألة ذوبان الحدود الجغرافية أو السياسية تبعاً لها والمؤثر فيها هو المؤثر الثقافي في ظل انبهار واندهاش العالم بكل ما هو غربي وهيمنة التسلط الإعلامي الغربي الواضح وهيمنته الواضحة. أذكر منها تعريفين اثنين كنموذج لبقية التعريفات للعولمة من الناحيه الاجتماعية منها.

«إن العولمة عملية اجتماعية تنحسر فيها قيود الحدود الجغرافية والسياسية في تقرير الترتيبات السياسية والاقتصادية والثقافية، وأن الناس يدركون بازدياد أن هذه

---

(١) د. برهان غليون، مجلة النور العدد (١٠١) ص ٣٧، مرجع سابق، محمود قاسم عن شبكة المعلومات (الإنترنت).

(٢) أ. د/ عبد المالك التميمي ضمن ملف العولمة إلى أين والعرب وإعادة صياغة المفاهيم الكبرى عن مجلة أكديت العدد ١٨٩سنة١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ص ٤٠.

(٣) طه العامري / دور الدولة في ظل العولمة عن مجلة الموقف اليمنية العدد (١٨) يوليو (٢٠٠١م) عن المركز= =العام للدراسات والبحوث والإصدار صنعاء ص(٩٦).

القيود آخذة بالانحسار» [1].

كما عرفت بأنها«الميل إلى ربط الظواهر الاجتماعية بعضها ببعض على مستويات النظافة والتأثير والتواصل أو الوعي الشامل بتواصل العوامل الاجتماعية والفاعلة» [2].

ومع كل هذه التعريفات التي حاولت إدراج كل منها حسب ما يغلب عليه من اتجاه إلا أنه لا يزال هناك تعريفات كثيرة لم أذكرها، وذلك لأن مصطلح العولمة كما يبدو للباحث لا يزال في الطور التكويني إلى حد كتابة هذا المبحث في حد علمي القاصر، وتظهر الكتابات كل يوم جديداً في هذا الجانب والذي يميل إليه الباحث أنه بالإمكان جمع هذه التعريفات ودمجها في تعريف واحد جامع مانع وما نعيته سأذكره في حينه.

على أن كل تعريف من التعريفات التي قيلت في العولمة أثرت فيه كثير من المتغيرات التي تستجد الآن في ظل ثورة المعلومات،الاتصالات، وفي ظل أيدلوجية النظام القطبي الواحد وفرض مجموعة من القوانين والأنظمة عبر أدوات العولمة التي غلفت بالشرعية الدولية كالمنظمات السياسية الدولية والمنظمات الاقتصادية والمنظمات الثقافية والاجتماعية والعسكريه للحفاظ على ذلك كله.

من خلال هذه التعريفات الكثيرة العدد والمتشعبة الأفكار يدرك المتأمل أن هذه الظاهرة قد استحوذت على اهتمام واسع لدى شريحة كبيرة من نخب المجتمعات، ويلمس ذلك من خلال الأدبيات المبثوثة على الساحة الأدبية والتي تتناول هذه الظاهرة من جوانب متعددة منها الجوانب الاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية والإدارية والتربوية والتكنولوجية والمعلوماتية والتأريخية، ومن يطلع على هذه التعريفات أو يلقي نظرة فاحصة قد يحتار حيالها كما هو الشأن عند الباحث إلا، ولكن مهما تعددت التعريفات وتنوعت فيها المعاني فإن النصيب الأوفر منها قد غلب على الجانب الاقتصادي والمتضمن للمصلحة النفعية والتجارية بفعل هيمنة القوى المالكة للقرار

(١) د. نايف علي عبيد عن مالكون ودتزن (Malcolm Waters) عن كتاب العولمة مشاهد وتساؤلات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، (سلسلة محاضرات الإمارات) ٤٦ ط ١/ ٢٠٠١م، ص ٧.

(٢) جوارن توريون العولمات والموجات التأريخية والمؤثرات الإقليمية وتوجيه الحكم المعياري، ترجمة، بدر الرفاعي عن مجلة الثقافة العالمية عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد (١٠٦)، السنة العاشرة، ٢٠٠١م، ص ٩.

والمسيطر الغالب، ثم ما لبث الأمر أن اتسع حتى شمل الجانب الثقافي والسياسي والاجتماعي وغيرها من الجوانب وأصبح يروج له كنظام أو نسق ذي أبعاد تتجاوز الدائرة الاقتصادية إلى دوائر الاتصال والفكر والسياسة والأيدلوجية وحتى القيم.

وإن هذا الترويج الهائل خلال العقد الأخير من القرن العشرين وحتى اليوم لهذا المصطلح(العولمة) وإن التعريفات الكثيرة العائمة وغير الدقيقة - بشهادة الكثير - بل والمحيرة في كثير من الأحيان، وإن الصيحات المتتالية لدى كثير من مروجي العولمة والداعين لها إنما هو من قبيل الترويج لاقتصاد تقوده شركات عملاقة تقوم مقام الدولة، والترويج لصياغة الهيمنة الرأسمالية، لتهيئة المناخ المناسب لتسلل رأس المال الأجنبي، ولتحقيق الانتقال إلى اقتصاد السوق وترويج للخصخصة التي يعود نفعها إلى الشركات متعددة الجنسيات وما هذا التهليل إلا محاولة لتصوير العولمة على أنها عملية تحرر.

وبحسب د / جلال أمين «فإن الذين يهللون لمصطلح العولمة إنهم يحاولون تصويرها على أنها عملية تحرر من رِبقة الدولة القومية إلى الأفق الإنساني الرحب والواسع وتحرير من نظام التخطيط الثقيل إلى نظام السوق الحرة، وتحرر من الولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعا، تحرر من التحيز المسبق لأمة أو دين أو أيدلوجيا معينة إلى عقلانية العلم وحياد الثقافة[1]، كما يتزامن الحديث عن شعارات براقة تخلب اللب من حقوق الإنسان، والديمقراطية والإشادة بالعقلانية والعلم، وبقدرة الثقافه الحديثة على التغلب على كل ما يعترض الإنسان من عوائق ومشكلات، والهجوم على التعصب بكل أشكاله الديني والقومي والعرفي، والزعم بأننا في كل هذه الأمور مقبلون على عصر جديد مجيد، تنتصر فيه كل هذه القيم العرفية، كاحترام حقوق الإنسان(وبخاصة النساء) الديمقراطية، والعقلانية، والموضوعية، والتقدم الثقافي[2]، ويخرج كل هذاعبر وسائل الإعلام ويطرح على أنه جزء لا يتجزأ من ظاهرة العولمة، كما يعتبركل من يقف في وجه العولمة على أنه يقف في الحقيقة ضد التحرر، ويضيف د. جلال: «وكم يكون العالم جميلاً لو كان هذا كله صحيحاً، ولكن الحقيقة للأسف غير ذلك بل لعلها عكس هذا بالضبط، وإنما يساعد على

(١) د.جلال أمين - العولمة والدولة - ضمن كتاب العرب،ص(١٦٤، ١٦٣).
(٢) المرجع نفسه ص ١٦٣.

تصديق كل هذه الأشياء وتدعيم هذا الخطأ الفادح أن لفظ العولمة لفظ يصف ما يجري على السطح من دون أن يفصح عن محتواه الحقيقي» فيصل ويوصلنا جميعاً إلى الحقيقة وهي: «أن الذي تجري عولمته إن هي إلا سلعاً وخدمات ذات طبيعة وخصائص معينة أفرزتها ثقافة معينة فهي مسألة خصوصية لها ارتباط معين [1].

وبعد هذا العرض المسهب للتعريفات فإن الباحث يجنح إلى تعريف للعولمة يرى شموليته هو أنها: «نزعة استعلائية غربية تحاول بكل قوة وصلف تغيير العالم وتوحيده في نمط واحد هو النمط الأمريكي مستخدمة أدوات معينة أضفت عليها روح الشرعية الدولية - من خلال دمجه ببعض وارتباطه اقتصادياً وثقافية واجتماعياً تحت تأثير ثورة المعلومات والاتصالات).

* * * * *

المبحث الثاني:
نشأة العولمة ومراحل تطورها

توطئـــة:

اختلفت الآراء وتباينت حول تحديد تأريخ معين لظاهرة العولمة، فمن قائل بأنها ظاهرة تضرب بأطنابها في أعماق تأريخ المجتمع الإنساني، وهي ظاهرة مستمرة من فجره، وتختلف آليتها من عصر لأخر حسب تطور وسائل الاتصال والمصالح والمشتركة وقائل بأنها ظاهرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكشوفات الجغرافية نهاية القرن الخامس عشر الميلادى والثورة الصناعية فى القرن التاسع عشر وبعضهم يرجع بداية ظهور هذا المصطلح بجلاء ووضوح إلى بداية التبشير بنظام عالمي جديد وقطب واحد حاول نشر هذا المصطلح وتعميمه إثر سقوط الاتجاه السوفيتي وانهيار جدار برلين في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات في القرن العشرين ولذا تعددت الاجتهادات بشأن تصور محدد للعولمة فأطلق البعض عليها: «مرحلة ما بعد الحداثة - Post -

(١) المرجع نفسه ص٦٤ وانظر ك حسام عيسى في مشاركة نقاش لورقة السيد يس حول العولمة والطريق الثالث ضمن كتابه نفسه ص ٥٨.

modernism» أو الحداثة الجديدة «New - Moderrnism» [١].

ويرى البعض أن بداية استخدام مصطلح العولمة تعود إلى نهاية الستينات من القرن العشرين وبداية السبعينات بصدور كتابين اعتبرا بمثابة منعطف تأريخي جديد الأول بعنوان «حرية وسلام في القرن الكونية» [٢] والثاني بعنوان «أمريكا والعصر الإلكتروني» [٣].

ومن هنا تعددت الآراء واضطربت حول نشأة العولمة وتطورها فهناك من يرجع تأريخ نشأتها إلى خمسة قرون مضت [٤] أي إلى الكشوفات الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر، غير أن هناك من يرى أن كلمة (العولمة) ماهى إلا لفظ جديد لظاهرة قديمة نشأت في دنيا أصبحت في حجم قرية إلكترونية ترابطت بالأقمار الصناعية والاتصالات الفضائية وقنوات التليفزيون الدولى وأن بدايتها ترجع إلى نهاية القرن الخامس عشر مع بدء عملية الاستعمار الغربى لأسيا وأفريقيا والأمريكتين، ثم اقترنت بتطوير النظام التجاري الحديث في أوروبا الأمر الذى أدى إلى ولادة نظام عالمى متشابك ومعقد عرف بالعالمية ثم العولمة بعد ذلك من وجهة نظره مع بداية ثورة الاتصالات حيث جعلها المحور الرئيسى لهذه البدايه وتبقى وجهة نظره خاصة وتختلف مع وجهة نظر الباحث التى ستتضح في نهاية البحث.

* * * * *

(١) شؤون عربية العدد (١٠٥) مارس، ٢٠٠١، ص٤١، وانظر بول بروخ، ترجمة حسين بيوي المبادئ الاقتصادية الموسعة للعولمة من منظور تاريخي، الثقافة العالمية، العدد (١٠٤) الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ٢٠٠١م، ص ٥٤، وانظر بول هيرت، وجراهام طومسيون، ترجمة فالح عبد الجبار ما العولمة، سلسلة عالم المعرفة الكويت (٢٧٣) ص ١٣ وما بعدها وانظر د:جلال أمين :العولمة ظاهرة جديدة أم قديمه.

(٢) المؤلف بارشال مالالوهان وركز في كتابه على التطوير الواسع لوسائل الاتصالات التي ستحول العالم إلى قرية كونية.

(٣) المؤلف يزنجنسكي المسؤول السابق في مجلس الأمن القومي الأمريكي في عهد الرئيس ريجان وركز فيه على الدور الذي ينبغي أن تقوم به أمريكا في قيادة العالم، عن الشاذلي، المرجع السابق، ص ٤١.

(٤) انظر د. جلال أمين العولمة ظاهرة قديمة أم جديدة، ورقة مقدمة إلى ندوة العرب العولمة التي ينظمها مركز دراسات الوحدة العربية وصدورها ضمن كتاب اسماه، العرب والعولمة، ط ١ / ١٩٩٨م، ص ١٥٣.

المطلب الأول:

أسباب انتشار ظاهرة العولمة

هناك أسباب [1] طرأت على ظاهرة العولمة عملت على انتشارها منها:

١- انهيار أسوار عالمية كانت تحتمي بها بعض الأمم[2] والمجتمعات.

٢- الزيادة الكثيرة في درجة تنوع السلع والخدمات والاستثمارات بين الأمم.

٣- الاطراد المتزايد في معدل النسبة السكانية في داخل كل مجتمع أو أمة أدى إلى ارتفاع نسبة التعامل مع العالم الخارجي والتأثر به أما بسبب ارتفاع نسبة الهجرة من الداخل إلى الخارج أو الإفادة من المجال السياحي أو زيادة الواردات الخارجية أو غيرها من العوامل غير المباشرة.

٤- أصبح تبادل المعلومات والأفكار هو السائد بين الأمم وهو العنصر الأكثر نمواً وأصبح استيراداً مباشراً عن طريق الإيصال.

٥- أصبحت الشركات المتعددة الجنسيات (Transnational - Corporations) هي الوسيلة الأكثر فعالية في تحقيق انتقال رؤوس الأموال والأفكار والمعلومات وكان لوجودها أثر ملموس في تراجع مركز الدولة وانحصار نفوذها، بل وتخليها عن مكانتها شيئاً فشيئاً.

---

(١) انظر د. جلال أمين - العرب والعولمة من صفحة (١٥٣ - ١٥٥) وانظر د. محمد علي حوات - العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل، مكتبة مدبولي، ط ١ /٢٠٠٢م، ص ١٢، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، وانظر د. ماجد محمد شنود، العولمة مفهومها مظاهرها سبل التعامل معها، ط ١/ من صفحة (٣١ إلى ٤٥)، وروجيه غارودي - العولمة المزعومة الواقع الجذور - البدائل تعريب / محمد البسيطلي، ص (١٩٧)، وانظر فضيل أبو النصر، الإنسان العالمي - العولمة والعالمية والنظام العالمي العادل، مكتبة بيسان، ط ١/ ٢٠٠١م، ص ١٤٨. وانظر فتحي يكن، ورامز طنبور، العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط ١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٣٢، وانظر، ناصر بن سليمان السابعي: البعد الثقافي لمفهوم العولمة وأثره في الثابت والمتغير في الشريعة الإسلامية بحث مكون من ٤٠ صفحة تم إخراجه من الإنترنت، ص ٩.

(٢) مثل جدار برلين بين الألمانيتين.

أحداث رئيسة مهدت لظهور العولمة:

وهناك عدد من الأحداث الرئيسية التي مهدت للعولمة أشار إليها جان شولت أستاذ العلاقات الدولية في جامعة ساسنكس في كتابه (العولمة مقدمة نقدية) [1].

كل هذا التسارع في تقنيات الاتصالات أدى إلى تطور واتساع مفهوم العولمة التي أصبحت الآن السمة المميزة للتأريخ المعاصر وهذا يعني أن العولمة مصطلح ظل فترة من الزمن حتى ظهر على السطح بفعل مجموعة من العوامل والتطورات السياسية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية اشتركت البشرية جميعها فيها.

* * * * *

المطلب الثاني:
الخلاف حول تأريخ نشأة العولمة

يرجع تأريخ نشأة العولمة عند رولاند ربوتسون إلى منتصف القرن الثامن عشر حيث ظهر المجتمع القومي المتجانس ثقافياً، إذ يمثل هذا المجتمع في نظره بنية تأريخية فريدة، يخضع لإدارة واحدة، وإن شيوع المجتمعات القومية في القرن العشرين - والكلام لأصحاب هذا الرأي - هو فعل من أفعال العولمة، بل ويعتبر المكون الرئيسي

---

(١) «في عام(١٨٦٦م) ظهرت أول خدمة للتغلراف عبر المحيطات، وفي عام (١٨٨٤م) تم إدخال نظام التنسيق على مستوى العالم للساعات وفقاً لتوقيت غرينتش، وفي عام (١٨٩١م) تم إنشاء أول نظام للاتصال التليفون بين لندن، وباريس، وفي عام (١٩٢٠م) أنشئت أول محطة إذاعية بالراديو من محطة (K. D. K. A) الأمريكية وفي عام (١٩٢٩م) ظهر أول نظام لانتقال الأموال عبر الحدود الدولية من دون فرض الضرائب عليها في لوكسمبرغ وفي عام (١٩٣٠م) ثم الربط بين ٢٤٢ محطة تابعة للبحرية الإنكليزية عبر ست قارات في آن واحد، وفي عام (١٩٥٥م) أفتتح أول مطعم لماكدونالدز، واعتبر عام (١٩٥٧م) عصر القذائف البلاستيكية العابرة للقارات، وفي نفس العام أطلق أول قمر صناعي إلى الفضاء الخارجي، وفي عام (١٩٦٤م) تم بدء أول اتصال دولي بالأقمار الصناعية، وفي عام (١٩٦٩م) اخترع العلماء أول طائرة نفاثة واسعة الحجم من طراز بوينغ (٧٢٧). وفي عام (١٩٧٢م) عقد أول مؤتمر دول للتنمية البشرية، وفي عام (١٩٧٤م) أزالت الحكومة الأمريكية القيود على أسعار صرف العملات الأجنبية، وفي عام (١٩٧٦م) بدء أول بث مباشر بالأقمار الصناعية على الأطباق المقامة على أسطح المنازل، وفي عام (١٩٧٧م) بدء أول استخدام تجاري للكابلات المصنوعة من الأنسجة البصرية والتي عملت على زيادة قدرة الاتصالات اللاسلكية، وفي العام نفسه نفذ المهندسون ربطاً كاملاً من الأنسجة البصرية حول العالم الأمر الذي سهل عملية استخدام الوسائط المتعددة والمحمولة وغيرها.

والأول من مكونات العولمة بالإضافة إلى مكونين آخرين هما مفهوم «الأفراد» ومفهوم «الإنسانية» [1].

كما ينظر (رونالد روبرستون) إلى العولمة من خلال كتابه (تخطيط الوضع الكوني) إلى أن جذورها ترجع إلى القرن الخامس عشر حيث كانت لا تزال في طور الجنين، ثم تطورت عبر خمس مراحل اتسمت كل مرحلة بسمات خاصة لا يرى الباحث في تتبع تفاصيل تلك المراحل كبير أثر أو ثمرة مفيدة، إذ العولمة مرتبطة أصلاً بالصراع من أجل مزيد من الأرباح وجمع الأموال واستنزاف الثروات وأكل موارد وخيرات الشعوب وغيرها من الأخطار التي سوف نتعرض لها في ثنايا البحث من حيث معرفتها وكيفية التعامل معها وبإيجاز فإن هذه المراحل هي[2].

المرحلة الجينية: وتبدأ هذه المرحلة من بداية القرن ١٥ - حتى منتصف القرن الـ ١٨ شهدت فيها أوروبا نمواً للمجتمعات القومية وإضعافاً للقيود التي كانت سائدة في القرون الوسطى.

المرحلة الثانية: وسماها مرحلة النشوء، واستمرت في أوروبا من منتصف القرن الـ ١٨ حتى عام ١٨٧٠م وما بعده، حدث خلال هذه الفترة تحول وتطور للدولة المتجانسة الموحدة وأخذت تتبلور المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية، وبالأفراد باعتبارهم مواطنين لهم أوضاع مقننة في الدولة، ونشأ مفهوم أكثر تحديداً للإنسانية وزادت إلى حد كبير الاتفاقات الدولية، ونشأت المؤسسات المتعلقة الخاصة بتنظيم العلاقات والاتصالات بين الدول

المرحلة الثالثة: ويطلق عليها مرحلة الانطلاق وابتدأت منذ عام ١٨٧٠م واستمرت حتى العشرينات من القرن العشرين وظهرت فيها مفاهيم كونية مثل«التطور الصحيح»، و«المجتمع القومي المقبول» ومفاهيم تتعلق بالهويات القومية والفردية،

---

(١) السيد يسن العولمة والطريق الثالث، بيروت للنشر والتوزيع ١٩٩٩م، ص ٢٤ وما بعدها، وممن يرجع تأريخها إلى القرن الثاني عشر، انظر د / موسى أبو الريش، العولمة والمستقبل مخاطر وتحديات عن مجلة الكلمة الصادرة عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث العدالسيد يسن العولمة د ٢٥ خريف ١٩٩٩م،
ص ١٠٤..

(٢) المرجع نفسه، ص٢٥، ومابعدها، والدكتور موسى أبو الريش، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وتم إدماج عدد من المجتمعات غير الأوروبية في «المجتمع الدولي» وبدأت عملية الصياغة الدولية للأفكار الخاصة بالإنسانية ومحاولة تطبيقها.

المرحلة الرابعة: أطلق عليها مرحلة الصراع من أجل الهيمنة بدأت هذه المرحلة من عشرينات القرن العشرين حتى منتصف الستينات، بدأت خلالها الخلافات والحروب الفكرية حول المصطلحات الناشئة والخاصة بعملية العولمة والتي بدأت في مرحلة الانطلاق، ونشأت صراعات كونية حول صور الحياة وأشكالها المختلفة وتم التركيز على الموضوعات الإنسانية خاصة بعد إلقاء القنبلة الذرية على اليابان.

المرحلة الخامسة: وبدأت هذه المرحلة منذ ستينيات القرن العشرين وظهرت خلالها أزمات التسعينات وتم خلالها إدماج العالم الثالث في «المجتمع الدولي» وتصاعد الوعي الكوني توالت فيها الأحداث وتعمقت القيم ما بعد المادية، وشهدت المرحلة نهاية الحرب الباردة وانتشرت الأسلحة النووية، وزادت إلى حد كبير المؤسسات الكونية والحركات العالمية.

وواجهت وتواجه المجتمعات الإنسانية اليوم تعدد الثقافات وتعدد السلالات داخل المجتمع نفسه، وأصبحت المفاهيم الخاصة بالأفراد أكثر تعقيداً من خلال الاعتبارات الخاصة بالجنس والسلالة، وظهرت حركة الحقوق المدنية، وأصبح النظام الدولي أكثر سيولة وانتهى النظام الثنائي القومية، وزاد في هذه المرحلة الاهتمام بالمجتمع المدني العالمي، والمواطنية العالمية، وتم تدعيم نظام الإعلام الكوني [1].

ويرى الباحث أن هذه الأحداث ليس لها صلة بالعولمة كأيدلوجية تنتهجها الرأسمالية لأن بوادر العولمة بأيدلوجيتها إنما نشأت في بداية القرن العشرين واتضحت أكثر مع انهيار الاتحاد السوفيتي وانفراد الولايات المتحدة بالزعامة في العالم.

أما بحسب سيار الجميل فإنها: «ظاهرة تأريخية حديثة المصطلح والمعنى والمضامين، وهي تأتي في سياق تطور عدة ظواهر في الفكر العالمي الحديث المعاصر قبل أن تكون وجدت أصلاً منذ أزمان وقرون، إنها حصيلة المنجز التأريخي المتنوع عند نهاية القرن العشرين وينتقد بشدة كل من حذا حذو روبرتسون في الناحية التأريخية،

(١) السيد ياسين، عن العرب والعولمة صفحة (٣٠، ٣١، ٣٢).

ولا يسلم بهذا المنهج بل ويقول: «إنها كظاهرة تأريخية معقدة معاصرة جداً وغير مكتشفة عناصرها مدياتها وأبعادها بعد مستبعداً كل الأطوار والمراحل التي يذكرها روبرتسون، ولكنها تمتلك مفاهيم جديدة جداً بعيدة كل البعد عن إيجاد أي نوع من الهندسة التأريخية لها، وهي من وجهة نظره على أنها لم تزل بعد في طور التكوين ومحاطة بكثير من الغموض، ولم يمض على بروزها إلا عدة سنوات من أجل تأسيس تأريخ جديد للإنسان من خلال الأرض كما ألفته التواريخ العالمية لا بل من خلال الكون كما ستألفه المديات المستقبلية للعولمة.

وبهذا فهو يختلف عن سابقه في كونه يعتبر أن العولمة حصيلة ما كان قد مر فيه الإنسان من ظواهر كبرى في تأريخية الحديث، وهو يشكل حضارته الغربية المعاصرة وهو يرى أن تسلسلها يبدأ من الاستكشافات الجغرافية في القرن الخامس عشر فالإصلاحات الدينية في القرن ١٦ ثم الماركنتاليات الاقتصادية في القرن ١٧ والثورة الفكرية (القانونية والسياسية) في القرن ١٨ فالثورة الصناعية في القرن ١٩ ثم الثورة التكنولوجية في القرن الـ ٢٠ ويختم هذه السلسلة الكونية في القرن ٢١ ومن ثم فإنه يعتقد أنه لا يمكن ربط ظاهرة العولمة الجديدة بالاستعمار كمصطلح ومضامين فقط، وبالصورة التخيلية الواقعية التي ألفت شعوب الأرض تجاربها المريرة وذلك أن العولمة في نظره أعم وأشمل وأكثر استحواذاً على كل مرافق الحياة المعاصرة والقادمة يصل إلى محصلة أن نظام العولمة تختلف عن النظام الدولي وأن الأمريكان يستقطبون العولمة كما استقطبوا من قبل النظام الدولي وبهذا ستكون مستفيدة جداً من ظاهرة العولمة كما استفادت من النظام السابق للعولمة في ظل التكتلات والتحالفات على امتداد القرن العشرين» [١].

ويضيف صاحب هذا الرأي أنّ مصطلح «العولمة» أو ما يرادف هذا اللفظ كلمة «الكونية» أو «الكوكبة» لم يظهر بصورة مؤكدة إلا في تسعينات القرن العشرين عند جملة من المفكرين والدارسين والمحللين والمراقبين الدوليين الذين استقطبوا التفكير فيه

(١) المرجع السابق.الصفحات نفسها وانظر قريباً من هذا المعنى في تعقيب د. محمود الإمام علي بول سالم في بحث مقدم للندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في كتابه الصادر عن المركز : العرب والعولمة ط ٢ /١٢ /١٩٩٨ م ص٢٥٦.

حسب المنجز التأريخي الذي وصلت إليه الحضارة المادية الغربية، ولم يظهر على امتداد القرون المتأخرة من دعا إلى (العولمة) كما هي اليوم أبداً إلا ما كان من إشارة لمفهوم (القرية الكونية) التي نبه إليها أحد الأساتذة في نهاية عقد [١].

الستينات حين تنبأ بما يمكن أن تؤدي إليه ثورة المعلومات من تقارب بين جميع الشعوب وكان أول من تنبه لذلك هم الأمريكان فحاولوا إخصابها لصالحهم سياسياً واقتصادياً وإعلامياً، وثقافياً واجتماعياً خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية مستغلين كافة الوسائل المتاحة لديهم من فضائيات ورأسمال عملاق متمثلاً بالشركات، واتفاقيات، دولية وقوة.... إلخ.

ومن هنا فهو يصل إلى تعريف أو معنى حقيقي من وجهة نظره أن العولمة حصيلة لمنجز السريع والمتنوع للإنسان المعاصر اليوم.. وأنها (أي ظاهرة العولمة) تبلورت من خلال التراكزات الصناعية واتفاقيات الجات (Gat) وحركة الشركات المتعددة الجنسيات واقتصادات التكتلات، الفورمات، اتساع المعلومات.... إلخ [٢].

ويرى آخرون أن العولمة ظاهرة مستمرة عبر القرون ومنذ فجر التأريخ حتى وإن اختلفت نشأتها وأهدافها وأدواتها، ولكن الحديث عنها كثر في السنوات العشر الأخيرة في القرن العشرين فهي على هذا ليست موضوعاً جديداً بل هي قديمة قدم التأريخ [٣].

وأما لفظ (العولمة) فإن بداية الاستخدام لها كمصطلح تعود إلى كتابين كان قد صدرا عام (١٩٧٠م) الأول يركز على دور التطورات الواسعة في وسائل الاتصال التي ستحول العالم بفعلها إلى «قرية كونية» [٤]. والثاني يركز على الدور الذي ينبغي أن تقوم به أمريكا في قيادة العالم [٥].

---

(١) ومارشال ماك لوهان: هو أستاذ الإعلاميات الكندي كان قد كتب في نهاية عقد الستينات كتاب أسماه (القرية الكونية)..

(٢) سيار الجميل : العولمة المستقبل، ص ١٠ - ١٢، مرجع سابق..

(٣) د. خلاف خلف الشاذلي: آفاق التنمية العربية وتداعيات العولمة، ص٤١، مرجع سابق، وانظر العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، فتحي يكن، وراني طنبور، ص ٢٨ مرجع سابق.

(٤) هذا الكتاب مؤلفه مارشال ماك لوهان أسماه ((حرب وسلام في القرية الكونية))

(٥) وهذا الكتاب للمستول السابق في مجلس الأمن القومي الأمريكي ((بزجنبسكي ذوا الأصول البولندية، في عهد الرئيس ريجان)) وانظر د. محمد علي حوات: العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض

ومع أن مفهوم العولمة غدا متداولاً بكثرة وفي الفترة الأخيرة للقرن العشرين إلا أنه من حيث المضمون يضرب بجذوره في أعماق تأريخ المجتمع الإنساني، فقد تحدث الفلاسفة عن المواطن العالمي والعالمية، ولكن طبيعة عملية العولمة وآلياتها هي التي تغيرت وتطورت بوسائل الاتصال وتتشابك المصالح بين الدول، وكانت العولمة في الماضي، شأن الحاضر، تعني الهيمنة والسيطرة وقد ظهرت في العصر الحديث، وبالتحديد في أعقاب الحرب العالمية الأولى ثلاث صيغ قريبة للعولمة: أولها الصيغة الماركسية التي انطلقت من الاتحاد السوفيتي، وثانيها: الصيغة الفاشية التي انطلقت من ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية، وثالثها هي الصيغة الديمقراطية التي انطلقت من أمريكا وغرب أوروبا، وكانت كل صيغة تعكس توجهاً أيديولوجياً، حيث سيطرت على الصيغة الأولى الأيديولوجية الطبقية، وسيطرت على الثانية الأيديولوجية القومية، واستندت الصيغة الثالثة على الفلسفة البراجماتية (النفعية) وكان الأيديولوجيات الثلاث لها طابع في الرأسمالية، بما فيها الأيديولوجية الماركسية التي كانت في حقيقتها تمثل رأسمالية الحزب فكان لها خصائص الرأسمالية بالإضافة إلى عيوب البيروقراطية، ثم ما لبث أن تسارعت عجلة السنين، وبالذات في العقد الأخير من القرن العشرين فشهدت تطورات ومتغيرات دولية وإقليمية في زيادة سرعة العولمة وشكلت في نفس الوقت أهم معالم بارزة ساهمت في تشكيل العولمة [1]:

١- انتهاء الحرب الباردة بين قطبي النظام العالمي في القرن العشرين (الاتحاد السوفيتي - الولايات المتحدة الأمريكية) بانهيار الاتحاد السوفيتي.

٢- انهيار الاتحاد السوفيتي معقل الماركسية.

٣- تزايد التناقضات في المجتمع الدولي بين الاتجاه إلى التكامل (Integration) من ناحية، وبين ظهور التفتت والتشرذم (Fragmentation) من ناحية أخرى.

٤- تنامي أهمية العالم الاقتصادي والتكنولوجي والتأثير الثقافي والحضاري، وانكماش دور القوة العسكرية.

المستقبل، مكتبة مدبولي، ص١ /٢٠٠٢م، ص ٢٠.

(١) د. خلاف الشاذلي: آفاق التنمية العربية وتداعيات العولمة، المرجع السابق، ص٤٣

٥- بروز الشركات المتعددة أو متعددة الجنسيات (Transnational Corporations) والمنظمات غير الحكومية في إدارة توجيه الاقتصاد الوطني نحو اقتصادات السوق الحر - صاحب ذلك ازدياد وتركيز الثروة على المستوى الدولي، وكذلك داخل كل دولة على حدة، تنذر بوجود ديكتاتورية صاعدة لرأسمال المال من خلال اتحاد الشركات الكبرى، حتى صار العالم على شفى أن يكون رهينة في قبضة كبار المضاربين.

٦- ثورة المعلومات والاتصالات فضلاً عن نظام الإنترنت الجديد الذي ساهم في تغيير خريطة أساليب ونظم التجارة المحلية والعالمية.

٧- بزوغ عصر التكتلات الاقتصادية، وظهور برنامج الإصلاح الاقتصادي والهيكلي الشامل.

٨- التحرك السريع برأس المال وتنفيذ الصفقات [١].

٩- تغير جغرافية العملية الإنتاجية الاقتصادية.

هذه العوامل وغيرها هيأت الفرصة الكبيرة للمتغيرات الدولية للتأثير في اقتصاديات دول العالم، وساهمت في ظهور أزمات تحدد تأثيرها على الاقتصاد المحلي، وتخضع في الأعم الأغلب لسياسات الشركات المتعددة الجنسيات والتي ستنقضي في النهاية على تحطيم قدرات الدول القومية كما أسفرت تلك العوامل سريعة الإيقاع إلى عدد من المتغيرات الفرعية كانتهاج بعض الدول سياسة الخصخصة أو التخصيص«Privitryation» والتطور الهائل في شبكة البورصات والمؤسسات المالية متعددة الأغراض في مجالات الاستثمار والتمويل.

ويرى التويجرى [١] أن نشأة العولمة ترجع إلى نصف قرن من الزمان أى إلى

(١) انظر د. علي الفقيه: المستقبل العربي والعولمة عن جريدة الثورة اليمنية ١٩٩٩/١١/١١م العدد (١٢٨١٣)، ص ١١.
- غالب حسن البحري: النظام الدولي الجديد وعولمة الاقتصاد، الملحق الاقتصادي لجريدة الثورة اليمنية، ٢٠جماد ى الأولى ١٤٢٠هـ، ص٥.
عيسى الطيب طيبي: العولمة تمتد في فراغنا، عن مجلة الضياء، ذو الحجة ١٤١٩هـ، ص ٤٨.
انظر مصطفى نصر الشرعبي: نحو تنسيق مشترك لمواجهة تحديات العولمة، عن جريدة الصحوة اليمنية العدد (٦٨٨) الخميس جمادى الأولى ١٤٢٠هـ ص ٦.

السنة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية حيث برزت المفاهيم والنظريات السياسية الجديدة في ذلك الوقت كنظرية تسمى (نظرية ملء الفراغ) خاصة في منطقة الشرق الأوسط، وذلك بعد انسحاب الاستعمار البريطاني القديم من المناطق العربية، كإحدى النتائج التي أسفرت عنها الحرب حينما أصبحت المنطقة خالية وفارغة، وكان لا بد للقوة الجديدة التي كان لها أثر في الحرب وخرجت رابحة أن تملأ هذا الفراغ، وإن لها الحق في هذه المنطقة في أن تمارس عليها نوعاً من السيادة، خاصة السيادة القانونية وغير المباشرة، كالسيادة الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية.

ثم أعيد صياغة هذه النظرية بعد خمسين سنة بما يلائم مصالح الدولة العظمى (القطب الوحيد) بعد انهيار القطب الند لها وانهيار جدار برلين.

ومن ثم اتخذ هذا المنحى عدة شكليات منها:

١ - وجود قوى دولية عبر الدول تشارك بصورة مباشرة في السياسة العالمية عبر قنوات متعددة تصل المجتمعات بعضها ببعض.

٢ - وجود علاقات غير رسمية تقوم بين نخب غير حكومية وبواسطة منظمات عابرة للقوميات كالمنظمات الدولية والشركات والبنوك متعددة الجنسيات تلعب دوراً مهماً في تلك العلاقات.

٣ - وفي شكل إنشاء منظمة الأمم المتحدة والمنظمات والمؤسسات والوكالات المتفرعة عنها والعاملة في إطارها.

٤ - ثم ما لبثت أن تغيرت الخريطة السياسة العالمية وظهرت القوة التي حاولت أن تسيطر وتتفرد بزعامة ثم فرضت النظام الخاص المسمى بالعولمة والمعمول به حالياً والذي يحقق لها مصالحها[٢].

---

(١) د.عبد العزيز بن عثمان التويجرى - الهوّية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافى مجلة الإسلام اليوم الصادرة من النظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو - بالتعاون الثلاث العربية - الإنجليزية.الغربية العدد (١٥) ١٤١٩ - ١٩٩٨ م ص ١٤. وانظر وعد كمال الحيالى : العولمة وجيارات المواجهة ن عن منار الإسلام، العدد (٣٨٨) السنة التاسعة والعشرون، ص٧٨.

(٢) انظر د. مصطفى عمر النير: آراء حول المحافظة على الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة، عن مجلة شؤون عربية العدد(١٠٥)، ص٦١

ومن هنا فإن قوى العولمة تسعى إلى مفهوم العولمة العائم وهو الذي يعني إخضاع العلاقات الدولية في مجالات التجارة والاقتصاد والعلوم والتكنولوجيا لنظام ذي طابع عالمي يطلق عليه مصطلح العولمة.

وأختتم هذا المبحث بما ذهب إليه د. عبد الحي زلوم الأمريكي الجنسية في كتابه نذر العولمة إذ يُرجع تاريخ بدايتها إلى مخطط تفصيلي كانت تقوم به مؤسسات النخبة (وأصحاب الثروات الأمريكية) حتى توصلت إلى نتيجة ضرورة توسع الاقتصاد الأمريكي خارج الحدود ليضمن لها نمواً يحقق له حداً أدنى من التغيرات الحادة، وفعلاً توصلت النخبة الأمريكية آنئذٍ لضرورة خلق نظام اقتصادي عالمي تكون الولايات المتحدة مسيرة له.

في خلال سياق حديثه عن تأريخ توسيع الولايات المتحدة الأمريكية مساحة وسكاناً، يستهجن الكيفية التي تمت بها هذا التوسع حيث كان يحصل حسب كلامه تارة باستعمال قوة السلاح، وتارة أخرى بدبلوماسية الدولار [1]وما إن تحقق لها هذا الحلم حتى بدأت (الولايات المتحدة الأمريكية) تعطي نفسها حق التعامل مع الآخرين كشرطي عالمي، وأعلنت هذا الأمر قبل إنشاء ما يسمى بالأمم المتحدة، وتم تفعيل هذا المبدأ بالذات في دول أمريكا اللاتينية وذلك بين عامي(١٩٠٣م - ١٩٠٤م) [2]، ولقد تم تطوير هذه الأدوار وتغطيتها لتصبح في الأخير من مهام الأمم المتحدة، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤسسات النابعة عن اتفاقيتي بريتون دورز (أي مؤسستي النقد الدولي البنك وصندوق النقد الدوليين).

ويضيف زلوم: «ولم تكن الحرب عبارة عن حدث عسكري محض، بل كان الحدث عسكرياً واقتصادياً نتج عنه توسيع نطاق الاقتصاد الأمريكي، وكان هذا هو الدافع الأكبر لدى الولايات المتحدة لدخول الحرب العالمية الأولى [3].

ثم بليت أمريكا بكساد عظيم في مستهل العشرينيات من القرن العشرين تعرضت

---

(١) انظر عبد الحي زلوم: نذر العولمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢ / ٢٠٠٠م، ص٦٤، ٦٥.
(٢) المرجع نفسه، ص٦٠.
(٣) المرجع نفسه، ص ٦٧.

أمريكا لهزة اقتصادية حاولت الحكومة السيطرة عليها، بوقوفها إلى جانب الشركات الكبرى وتبني سياسة عدم التدخل في النشاطات الاجتماعية والاقتصادية وقد أدى وبسبب ذلك بعد أقل من عقد إلى انهيار أسواق الأسهم في دول إستريت في الثلاثنيات نتيجة عدم التوازن، واشتهر ذلك الانهيار بالانهيار العظيم فتفاقمت البطالة وشهدت الأسعار والمداخيل مزيداً من التقهقر، وتدهور الطلب على السلع وقابله مزيداً من السيطرة على رأس المال.

وتدخلت الحكومة مرة أخرى لإنقاذ النظام المصرفي من الانهيار بالرغم من أنها لم تكن تتبنى هذا المسمى، بل كانت تتبنى اقتصاديات السوق الحرة التي تدعو إليه اليوم واتخذت الحكومة من أجل إنقاذ البنوك والمصارف عدة خطوات منها:

١- تشجيع كافة النشاطات التجارية للموافقات على سياسة التسعير والإنتاج حتى أصبح لها قوة القانون لإنعاش الصناعة الوطنية

٢ - ثم تأسيس ما يسمى (Works Progress Administra tion) أي إدارة تحقيق التقدم في مجالات العمل لتأمين آلاف بل ملايين الوظائف لأفراد الشعب، كما تم ابتداع التأمين على المسنين مع أنه شر ولكن لا بد منه بحسب وجهة نظر الرأسمالية لإيقاف الكساد ويمكن التخلي عنه مستقبلاً.

٣ - وقفت الحكومة بجانب العمالة واستصدرت لذلك القوانين لمساعدة هذه الشريحة من المجتمع.

٤ - تم مساعدة الشركات عن طريق مؤسسة تمويل إعادة الإعمار [١].

Reconskaclion Finance corporation.

أدت هذه البرامج إلى تصاعد العجوزات الفيدرالية للحكومة بشكل مزمن، ولكنها أنقذت رأسمالية السوق الحرة من نفسها وخلال الحرب العالمية الثانية اضطلعت الحكومة الفيدرالية الأمريكية بمسؤولية السيطرة الكلية على كافة مناحي الاقتصاد.

(١) المرجع نفسه، ص ٦٨.

مشـــروع العـــولمة :

وبحلول عام ١٩٣٩م تم التحالف مع جماعة الفنيين والتقنيين الأكثر نشاطاً وحماساً لتطوير خطط لحساب الولايات المتحدة خلال وبعد الحرب العالمية الثانية، وتم تحديد مشروع تخطيط طويل المدى ليتم تنفيذه من قبل مجلس العلاقات الخارجية بعد اجتماعه بشخصيات مهمة مثل محرر الشؤون الخارجية ومساعد وزير الخارجية توخت هذه الخطط حرية السوق على أن تتوفر للاقتصاد الأمريكي الحصول على المواد الخام الأجنبية مع ضرورة توفر الأسواق الاستهلاكية داخل وخارج أمريكا.

وانصب المشروع على المشاكل بعيدة المدى التي ستنجم عن الحرب والخطط من أجل السلام وتم إجراء دراسات مهمة لهذا العمل وخصصت لذلك ميزانية لم تكن موجودة سلفاً.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها كان المشروع قد أنجز ٦٨٢ مذكرة سرية ساق زلوم بعضاً منها.

وكان من ضمن وصايا هذا المشروع إقامة منظمة مالية تتولى الإشراف على الاستقرار في سوق العملات الأجنبية مع توفير السيولة الكافية لتسهيل العمليات التجارية، انبثق عنها مؤسسة صندوق النقد الدولي [١].

كما أوصت بإنشاء مؤسسة مالية أخرى تكون مسؤولة عن توفير رأس المال الاستثماري لتمويل المشاريع التي يلزمه إقامتها في المناطق المذكورة ضمن خطة المنطقة الكبرى لتطوير النمو الاقتصادي فيها.

وانبثق عنها ما سمى فيما بعد باسم البنك الدولي World Bank.

ومن الجدير بالذكر بحسب زلوم: «أن هذه الدراسات كانت قد افترضت أن الولايات المتحدة ستدخل الحرب قبل إعلانها، كما افترضت أن الحرب ستنتهي بانتصار الولايات المتحدة وحلفائها، كما تضمنت هذه الدراسات تفاصيل عن إيجاد مؤسستي صندوق النقد والبنك الدوليين بصفتهما المسيطرة كما هو الحاصل الآن[٢]!

---

(١) المرجع نفسه، ص ٧٠.
(٢) المرجع نفسه،ص ٧١.

ثم يصل في الأخير إلى أن معظم الوسائل لتوجيه العالم لتطبيق نظام العولمة الاقتصادية اكتملت بحلول عام ١٩٤٩م، أما تجمع مجموعة السبع الكبرى قد تم تشكيله في وقت لاحق.

التخطيط الهندسي للعولمة:

نخلص من هذا التوصيف الدقيق لتأريخ العولمة وهندستها بحسب زلوم إلى النقاط التالية:

١- أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسعى جاهدة لإيجاد أسواق لها خارج حدودها لتضمن أكبر نشاط اقتصادي يسمح لها بالتسويق خارج حدودها، بل عالمياً.

٢- عملت الولايات المتحدة الأمريكية بطرق ظاهرة وخفية لاستكمال إجراءات الهيمنة بإنشاء مؤسسات دولية تضمن لها الشرعية لأي تدخل مرتقب.

٣- حاولت الولايات المتحدة الأمريكية أن تدير الحربين العالميتين الأولى والثانية وحاولت كسب نتائجهما لصالحها.

٤- تم لها ما خططت له من خلال ضبط أمورها بالدراسات المكثفة والمتخصصة وجندت لذلك أقوى الشخصيات النخبوية والتقنية ومدت خيوطها عبر عملائها، فنتج عنها ما يسمى الآن بالعولمة حسب تخطيط مدروس وإعداد مسبق.

ويتفق الباحث مع هذا الاتجاه من حيث أن العولمة بمعناها الجانح إلى السيطرة وإلى الهيمنة إنما خضعت لتخطيط مسبق طويل حاولت من خلاله الولايات المتحدة أن تكون لها اليد الطولى في تسيير المجتمع الدولي اقتصادياً وسياسياً وثقافياً واجتماعياً، وأن الواقع الملموس والمشاهد يثبت هذا من خلال الاستحواذ على المؤسسات الدولية سواءً النقدية أو المؤسسات الأخرى، وكذلك المؤتمرات التي تعقد تحت مظلة الأمم المتحدة التي تهيمن عليها الولايات المتحدة بالدرجة الأولى.

وليس معنى هذا أنه لا توجد آراء أخرى حول الموضوع لا بل هي كثيرة فمنهم

يربطها بالتأريخ الاقتصادي والاجتماعي للعلاقات الدولية، وبشكل خاص بتأريخ الفترات المبكرة للزيادة السريعة في حجم التجارة والاستثمارات والاتصالات، ودوائر التنفيذ، تلك الفترات ما حدث خلال المائتين والخمسين عاماً الماضية [1].

ومنهم من يربطها بفكرة التدويل وبرجعها إلى ما بعد منتصف القرن الثالث عشر كما سلف مروراً بمرحلة التوسع الاقتصادي للشركات الخاصة خصوصاً الألمانية والإنجليزية والفرنسية والسويدية، وانتهاءً بنهاية القرن العشرين حيث كانت الإمبراطوريات السابقة مكوناً صغيراً في العلاقات الدولية السياسية والاقتصادية والأخلاقية كما حظيت هذه الفترة بعلاقة كبيرة واهتمام سياسي بين الحكومة والعولمة أو بين وضع السياسة الوطنية (المحلية) والتغير الاقتصادي الدولي[2].

ويرى الباحث أن هذين الرأيين كما هي الآراء السابقة فيها كثير من التكلف، وهي أقرب إلى الحدس منها إلى الحقيقة والذي يجنح إليه الباحث من حيث الموضوعية العلمية هو ما ذهب إليه زلوم لما فيه من التحليل الدقيق والمبرهن بالأدلة الساطعة.

* * * * *

(١) انظر: إيما روتشيلد العولمة وعودة التأريخ، ترجمة غادة شويقة، مراجعة زكي خبير، عن مجلة الثقافة العالمية، العدد (١٠٣) ص ١٧، مرجع سابق

(٢) المرجع السابق، ص ٩٠.

openkandil.com

المبحث الثالث:
أبعاد العولمة
المطلب الأول:
البعد الاقتصادي للعولمة

مما لا شك فيه أن البعد الاقتصادي للعولمة يحظى بأوفر نصيب من النقاش والتوضيح والتعليق، وذلك لأن الاقتصاد كان ولا يزال من أهم دوافع الإنسان للعمل والنشاط، وقد لعب التبادل التجاري دوراً رئيساً في تحديد العلاقات بين مختلف البلدان منذ القدم.

إلا أن التغيير الذي طرأ على طريقة التبادل التجاري خلال العقود الأخيرة جعل لهذا الأسلوب نمطاً جديداً متميزاً. فقد صارت رؤوس الأموال تنتقل عبر الحدود الجغرافية والحدود السياسية بسهولة تحت غطاء لا يتعارض والكرامة الوطنية، فهي تنتقل باسم الاستثمار الخارجي، وحرية التجارة التي أزالت الحواجز الجمركية. وقد ساعدت عوامل كثيرة على انتشار هذه الأفكار، لعل أهمها حالة الفقر التي كانت عليها بلدان كثيرة، فقر مادي، فقر في الخبرات الحديثة، وفقر في توظيف الثقافة توظيفاً واسعاً، وتفاوت المجتمعات من حيث الإمكانات الاقتصادية حيث يسيطر عدد صغير من بلدان العالم على أكبر قدر من الإمكانات الاقتصادية، بينما تشمل البلدان الفقيرة غالبية بلدان العالم وغالبية السكان.

إضافة إلى وجود الشركات العملاقة المتعددة والمتعدية الجنسية، والتطور السريع في الثقافة وخصوصاً في مجال الاتصالات الأمر الذي سهّل انتقال رؤوس الأموال عبر الحدود، وقد ألغى هذا التطور الحدود السياسية، واختزل الزمن ووحّد نوعية التطلعات ومستوياتها.

ولم تقتصر العلاقات الاقتصادية بين بلدان العالم على انتقال رؤوس الأموال، وتبادل السلع والمواد الخام،.... بل اتسعت لتشمل مختلف جوانب الحياة وفي مقدمتها النسق الثقافي.

ومن هنا فإن البعد الاقتصادي للعولمة يشير إلى الاتجاه المتعاظم الذي يطالب بإلغاء

كافة أنواع العقبات الجغرافية والجمركية والإدارية أمام حركة التجارة والمال والثقافة والمعلومات على الصعيد العالمي، بما يقود - كما يزعم قادة النظام العالمى الجديد - إلى انتعاش الاقتصاد الرأسمالي العالمي، وبلورة ثقافة عالمية متجانسة الخصائص تجعل كافة دول العالم في بوتقة واحدة. ويتفق معظم المراقبين من العالم الثاني وفريق من مراقبي العالم المتقدم أن من شأن هذه الظاهرة أن تمس ليس الجوانب الاقتصادية أو التهديدات المحتملة على الجانب الاقتصادي والمالي لكثير من الدول فحسب، وإنما سيمتد تأثيرها إلى الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية لتلك الدول أيضاً.

إن مروجي العولمة يعملون بجدية ومثابرة على ربط اقتصاديات كل دول العالم بالاقتصاد والرأسمال العالمي، وإن أبرز معالم الاقتصاد العالمي الراهن هو سيطرة الشركات المتعددة الجنسيات على الاستثمار الأجنبي وعلى الإنتاجية الأكثر تقدماً. بحيث أصبح من الاستحالة ولوج بعض الصناعات دون قدر من التنسيق مع هذه الوحدات الإنتاجية العملاقة التي كانت تعمل في جو من التنافس على الصعيد العالمي حتى أصبحت الأن أداة جوهرية في عولمة الاقتصاد بسبب موجة الاندماجية التي تجري فيما بينها بصورة مستمرة كما هو حاصل ويحصل في الولايات المتحدة واليابان[1].

وتظهر تجليات العولمة الاقتصادية في نمو وتعميق الاعتماد المتبادل بين الدول والاقتصاديات القومية في وحدة الأسواق المالية، وتعميق المبادلات التجارية وإزالة القواعد الحمائية التجارة، وإنشاء منظمة التجارة العالمية، كذلك تبرز هذه التجليات من خلال التكتلات الاقتصادية العالمية (السوق الأوروبية المشتركة) سابقاً (الاتحاد الأوروبي) على سبيل المثال، ونشاط الشركات الدولية والمؤسسات الاقتصادية الدولية (البنك الدولي وصندوق النقد الدولي) [2].

يزعم مروجو العولمة أن اقتصاد السوق وحرية التجارة والبورصة والبنوك والأسواق المفتوحة أثبتت نجاعتها وتفوقها، وبالتالي فهي الأجدر في نظرهم أن تفوز

(١) عرفات تقي الحسني - الاقتصاد العربي في وداع القرن العشرين - عن مجلة قضايا استراتيجية الصادرة عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية العدد (٣) أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٠م ص (٩٠).

(٢) عادل عبد الحميد علي - العولمة وآثارها على العالم الثالث - تعنى بقضايا الفكر والثقافة والتنمية والسياسة - صادرة عن المؤتمر الشعبي العام (اليمن) العدد (١٩) يناير - مارس ٢٠٠٠م ص (٩٠).

وتسود الحياة الاقتصادية، أما القطاع العام وقطاع الدولة والاشتراكية وغير ذلك فهي أفكار قديمة ومخلفات تاريخية بائدة حطمتها وتحطمها الشركات العابرة للقارات والعابرة للقوميات وضرورات التطور الاقتصادي [١].

كما قد يشير البعد الاقتصادي عند البعض إلى العملية التي من شأنها تكثيف التبادلات الدولية كلما تطور التداخل بين أنظمة الإنتاج [٢].

إن البعد الاقتصادي يظهر بشكل جلي من خلال السعي الدؤوب والنشط لرأس المال وإمكان تداخله في العالم بحيث يتحول العالم كله إلى سوق استهلاكية كبرى بقيادة الشركات الصناعية الأكبر حجماً. [٣]

إنه إرساء نظام اقتصادي موحد يهدف إلى تحرير العلاقات الاقتصادية القائمة بين الدول من السياسيات والمؤسسات القومية والاتفاقيات المنظمة لها، وذلك بخضوعها التلقائي لقوى جديدة أفرزتها التطورات التقنية والاقتصادية، وتعيد هذه القوى الجديدة تشكيل وتنظيم العلاقات الاقتصادية بشكل طبيعي على مستوى العالم كله باعتباره وحدة واحدة، وتقوم هذه العلاقات على أساس تبادل الخامات والسلع والمنتجات والأسواق ورؤوس الأموال[٤].

إنه مشروع يطرح على أرض الواقع بدافع الهيمنة من قبل دول الشمال على السوق العالمي لأنها تتمتع بفائض في المنتجات الزراعية في مقابل قلة الغذاء أو انعدامه مقابل الشح الغذائي في دول الجنوب والأطراف ولأن دول الشمال تملك المبادرة في الإنتاج الصناعي المتجدد، فإن على دول الجنوب والأطراف وبخاصة الدول الإسلامية أن تكون

---

(١) د/ رسلان خضور، د/ سمير إبراهيم حسن - مستقبل العولمة - عن قضايا راهنة سلسلة أوراق شهرية صادرة عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية العدد (٧) تموز / يونيو ١٩٩٨م ص (٨).

(٢) إبراهيم التواني - عن مجلة البصائر الصادرة عن مركز الدراسات والبحوث الإسلامية في حوزة الإمام القائم العدد (٢٥) السنة١٢ ربيع ١٤٢٢ هـ

(٣) د/ بركات محمد مراد - ظاهرة العولمة رؤية نقدية - كتاب الأمة الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر العدد (٨٦) ذو القعدة ١٤٢٢هـ السنة الحادية والعشرون ص ٦٤.

(٤) عبد الرحمن سعيد - تحدي العولمة - عن مجلة السنة العدد (٨٦) يونيو ١٩٩٩م ص٣٦، د/ رسلان خضور، سمير إبراهيم - مستقبل العولمة - مرجع سابق ص٨. محمد محفوظ نقد المشروع الثقافي الغربي وطموحات العولمة، مجلة الحكمة الصادرة عن منتدى الحكمة للدراسات والأبحاث، بيروت لبنان، العدد (١٩) السنة= =الخامسة ربيع ١٩٩٨م / ١٤١٩هـ، ص ٥٠.

سوقاً استهلاكية لمنتجات الطرف الأقوى والأغنى والمنتج. وهذا إنما يتم عن طريق طرح آليات ومداخل للاندماج في الاقتصاد العالمي محورها الأساسي السوق والتنافس الحاد على كسب السوق حيث الغلبة تكون للأفضل والأقوى من حيث الإنتاج والتقنية والرفاهية. (١)

والحقيقة أن عملية الاندماج عن طريق فتح الأسواق لا يبني هيكلة اقتصادية متينة، وإنما تساهم في تآكل الهياكل المتوفرة على مستوى البنية الاقتصادية الوطنية لصالح نسق اقتصادي عالمي لا يخدم على المستوى المرحلي والاستراتيجي إلا الدول الصناعية الكبرى ومحورها وقطبها الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بغية السيطرة على اقتصاديات دول العالم وتعميم نماذجها. (٢)

إن ذلك الاندماج لا تتوفر فيه شروط اقتصادية وسياسية وحضارية، ولا تقوم هذه الدول (الكبرى) بأي دور إيجابي في امتصاص العواقب والحالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المترتبة على ذلك. فتتحول دول الأطراف وبالذات الدول الإسلامية إلى سوق استهلاكية عالمية تسير عبر مراجع متلاحقة إلى أن تصل إلى ربط اقتصادياتها هيكلياً باقتصاديات الدول الكبرى المهيمنة والمحتكرة للسوق فلا يمكنها بعد ذلك الانفكاك منها إلى أن تسقط هذه الدول - والتجارب شاهدة على ذلك - ضحية وبائسة لهذا النظام المهيمن(٣).

إن إمكانية وصول البلدان النامية ومنها الإسلامية بالطبع محدودة جداً للوصول إلى الأسواق العالمية، وإلى الموارد المالية والتكنولوجية، ولم تتم عملية إزالة الآفات القديمة بعد، والتي تعاني منها شعوب البلدان النامية من قبيل الفقر والمرض، والفاقة، وسوء التغذية، والبطالة المتزايدة في التفشي، بل إن هذا النموذج من العولمة يسهم بالتأكيد إسهاماً كبيراً في إيجاد مثل هذه الآفات وزيادتها، فلا يجد المرء حينئذ غضاضةً في أن يصف هذا النموذج من العولمة "بعولمة القوة الاقتصادية" (٤) بحسب د. تيسير الشائف:

---

(١) المرجع السابق، ص ٥١.
(٢) المرجع السابق الصفحة، ص٥١.
(٣) نفس المرجع السابق ص٥١.
(٤) د. تيسير الشائف - نموذج العولمة الحالي وإقامة نظام إنساني عالمي جديد - جريدة البيان الإماراتية بتاريخ ٢٠٠١/٤/١٥م

ذلك أن الأسواق الرأسمالية، وتدفقات الاستثمار، وكذلك وبصورة متزايدة تدفقات التجارة على نحو مطرد غدت اليوم أقل خضوعاً للسيطرة الوطنية مع كون ذلك كله محكوماً بقوانين السوق المطبقة على أساس إرادات الجهات الاقتصادية والسياسية القوية[١].

ولأن الشركات متعدد الجنسيات تشكل محور اقتصاد العولمة، فإن ما يجري الآن، إنما هو محاولة منها لتحويل العالم كله إلى سوق عالمية واحدة تخضع لنشاط وسيطرة هذه الشركات، والتي بدورها تعمل وبجدية ومثابرة على تكييف مختلف النظم والسياسات الاقتصادية في العالم لاحتياجاتها[٢].

إن تدخل الشركات متعددة الجنسيات في قضايا مالية كثيرة وجوهرية ووضعها سياسات اجتماعية لكثير من البلدان النامية ينجم عنه صدمات لاقتصاديات البلدان النامية، ويزيد عمق الشرخ الفاصل بين البلدان في الجنوب وبلدان الشمال[٣].

إن السماح لدخول هذه الشركات إلى الدول النامية باسم حرية العمل أو قوى السوق في ظل حرية مطلقة العنان لهذه القوى يؤدي إلى المنافسة غير المنصفة بين البلدان النامية، ومتقدمة النمو، حتى يصل الأمر إلى ذلك الأثر السلبي الواضح والواقع الآن في حياة الشعوب الفقيرة، وإلى تفاوت النتائج المالية والاقتصادية، وإلى تركيز وزيادة تركيز الثروة لدى هذه الشركات [٤]وبالتالي لدى من يملكها وهي بلا أدنى ريب الدول الكبرى القوية ومما يجدر ذكره هنا الإشارة بإيجاز لأهم نتائج هذا التدخل بحسب د. تسير بتلخيص في النقاط التالية: -

---

وانظر د. رسلان، د. سمير إبراهيم - مستقبل العولمة مرجع سابق ص١٢، وانظر مرتضى معاش: العولمة رؤى ومخاطر، عن مجلة النبأ، العدد (٣٥) السنة الخامسة ربيع الثاني ١٤٢٠هـ ص ٢، المجلة عن طريق الإنترنت، Mortaela@ahhabaa.org

(١) انظر سليمان بن صالح الخراشي: العولمة، دار بلنسية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ ص ١٦، ٢٠

(٢) المرجع السابق الصفحة، ص١.

(٣) د. تيسير: نموذج العولمة، ص ٢، وانظر فتحي يكن ورامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠/ ٧٥

(٤) وانظر عرفات تقي الحسن: الاقتصاد العربي في وداع القرن الـ ٢٠ واقع العولمة أم حلم التكامل - عن مجلة قضايا استراتيجية، العدد (٤) جماد الآخر ١٤٢١هـ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٠م، ص ١٥، ١٦.

نتائج دخول الشركات المتعددة إلى الدول النامية:

- تدهور أو تدمير البيئة الطبيعية.

- الانخفاض في مستوى كثير من الخدمات العامة.

- تزايد واتساع الفجوة بين أغنى الشعوب وأفقرها.

- تهميش وزيادة تهميش الشركات الصغيرة، والدول الفقيرة والضعيفة في عملية صنع القرار المتعلق بالاقتصاد العالمي.

- ينطوي هذا التهميش على إضعاف الاقتصاديات الوطنية والإقليمية حيال سلطات الشركات الكبرى والدول القوية وحيال قراراتها وإجراءاتها. وهذه هي الحقيقة المأساوية القائمة في أغلب البلدان النامية.

تزايد عدد البشر الذين يعانون من الفقر المدقع والجوع والمرض وسوء التغذية والبطالة رغم التطور المذهل والمتسارع في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات [١].

وإن صدى أفكار الليبرالية الجديدة التي تتبناها دول الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية منذ ثلاثة عقود إنها في الحقيقة دعوة إلى عولمة اقتصادية تتركز بشكل عملي وأساسي فيما يسمى بحرية السوق وعدم تدخل الدولة، ورفض التعريفات الجمركية الباهظة، وإزالة كل العوائق التي وضعتها الحكومات ضد التوسع الصناعي، والعمل بقاعدة " دعه يعمل دعه يمر* " التي تؤدي بزعم مروجي العولمة اليوم إلى الرخاء الاجتماعي، وهذه النظرية لم تحظ بمساحة واسعة من النشر في الأدبيات الاقتصادية إلا عقب انهيار جدار برلين، وتفكك المنظومة الاشتراكية، وبطلان النظرية الاشتراكية، وهيمنة النظام الرأسمالي النظرية الرأسمالية)[٢].

حتى ظهرت هذه الدعوة في هذه الآونة بشعار الـ (Globalization) التي اختلفت النخب العربية في ترجمتها من قائل بـ (العولمة) وآخر (الكوننة) وثالث (الكوكبة)، والتي هي في نظر دعاة تحرر السوق مفتاح التعايش السلمي والطريق القويم - بزعمهم - إلى مستقبل مشرق وزاهر للبشرية كلها.

---

(١) د. تيسير الشائف - نفس المرجع السابق ص٣.

(٢) شايف على الحسنى - حديث العولمة وآفاق تطور اليمن - ط١ /يناير ٢٠٠١ م - ص٢٤.

إن قواعد وآليات نظام العولمة تفرض مناهج الانفراد بقيادة السوق العالمي، وبما يعنيه ذلك من تفوق على كافة القوى الاقتصادية في أحد مجالات الاقتصاد، أو في أكثر من مجال على مستوى الخريطة الاقتصادية العالمية الشاملة [١].

مظاهر العولمة الاقتصادية:

ويمكن تلخيص مظاهر العولمة الاقتصادية في النقاط التالية:

١ - اتساع نشاط الرأسمالية متعدية الجنسيات وتنامي قوتها: -

ويتضح ذلك من خلال ممارسة الشركات عابرة القارات نشاطها الإنتاجي في نقل شركاتها إلى بلدان أخرى (بما في ذلك البلدان النامية) ويكون مقر الإدارة العليا للشركة في بلد ما، حيث توجد الإدارة العليا وأقسام البحث والتطوير وإدارة التسويق، وبدأت تختفي عبارات مثل صنع في ألمانيا مثلاً أو فرنسا أو... وحل محل ذلك صنع لدى مرسيدس أو تويوتا أو فليبس [٢].

٢ - تقويض أو إضعاف دور الدولة الاقتصادي والسياسي: -

ويتم ذلك من خلال الاستعانة بموظفين دوليين تابعين لمنظمات دولية مثل (صندوق النقد الدولي، البنك الدولي، منظمة التجارة العالمية). وبهذا تكون قادرة على الاستغناء عن بعض وظائف الدولة، وهي تعتمد أيضاً على نظم أمن خاصة، وشركات بريد خاصة، وتقوم بالاستيلاء على مرافق وخدمات عامة باسم الخصخصة [٣].

٣ - إضعاف فاعلية السياسات الاقتصادية الوطنية: -

---

(١) إبراهيم التواني - عن مجلة البصائر العدد (٢٥) السنة ١٢ ربيع ١٤٢٢هـ ص١١٤، ١١٣.

(٢) د. عبد الحي زلوم - نذر العولمة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢ /٢٠٠٠م ص٣١، ٣٠ عن دايفيد كورتن - عندما تحكم الشركات العالم - روليان ليبك من كتاب أرض الرغبة. د. محمد عبد الله الشيباني - العولمة الاقتصادية ومؤتمر الإيواء البشري - عن مجلة البيان العدد (١٠٢) ص٩٩، وانظر د. منعم العماد: العولمة ودورها في تهميش النظام الإقليمي العربي، عن مجلة قضايا استراتيجية العدد (٢) ربيع الأول ١٤٢١هـ يونيو ٢٠٠٠م، ص٩.

(٣) انظر رسلان خضور سمير إبراهيم - في مستقبل العولمة - المرجع السابق، د. إسماعيل صبري عبد الله - الكوكبة الرأسمالية في مرحلة ما بعد الإمبريالية - عن مجلة المستقبل العربي - عدد (٢٢٢)٨/١٩٩٧م ص٤، الحسين عصمة - العالم الإسلامي وتحديات العولمة - عن مجلة الكلمة (١٩) ربيع ١٩٩٨م ص٧٤.

من خلال المظهر الثاني نلاحظ تغيير دور الدولة وضعف قدراتها على اتخاذ أو صناعة القرار الاقتصادي أو السياسي الذي يتماشى ومصلحتها الوطنية، ونتيجة لتقييد الدولة باتفاقيات تحرير التجارة الدولية يصعب عليها السيطرة على حركات رؤوس الأموال وهروبها إلى الخارج وكذلك يصعب عليها الدفاع عن سعر صرف العملة الوطنية وعن أسعار الفائدة [١].

٤ - التحرر شبه المطلق لحركة السلع والخدمات ورؤوس الأموال(عولمة البضائع): -

وعبر اتفاقيات الجات (G - A - T) ومنظمة التجارة العالمية التي جاءت أصلاً تلبية لمصالح ومتطلبات الشركات (المتعدية) الجنسيات، فإنها تضع كل القيود أمام حركة قوة العمل في السوق العالمية، لأن ذلك لا ينسجم مع مصالحها.

ويمارس تحرير الأسواق وتوسعه كل يوم، وبالتالي الهيمنة على حوالي ثلثي التجارة العالمية، وأما ما يجري عولمته عملياً عبر تحرير التبادل التجاري هو سلع وخدمات ذات خصائص معينة أفرزتها قوى السيطرة العالمية، وأصبح رأس المال يمكن أن ينتقل بسهولة ويسر[*]، إذ أصبحت العبرة للتفوق المطلق في جميع الأسواق.

٥ - عولمة الاستهلاك وعولمة العرض والطلب: -

ويتم ذلك من خلال التطور الهائل في تكنولوجيا الدعاية والإعلان لتنميط أذواق المستهلكين وخلق نمط استهلاكي موحد [٢].

---

(١) محمد سماحة - الأسلمة بدلاً عن العولمة - عن العربي العدد (٤٩٠)/١٩٩٩م، السيد أحمد مصطفى عمر - إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك - عن المستقبل العربي (٢٥٦)٢٠٠٠م

(*) وذلك بسبب أن نظرية التكاليف التي كانت إلى عهد قريب من أهم الأركان التي يقوم عليها التبادل التجاري الدولي حيث إنها مبنية على فرضية لم تعد متحققة مثل عدم قدرة المشروعات رؤوس الأموال على الانتقال إلى الخارج، وبذلك أصبحت هذه النظرية محدودة. انظر محمد محفوظ - نقد المشروع الثقافي للغرب وطموحات العولمة - عن مجلة الكلمة (١٩) ص٥٣ مرجع سابق.

(١) د. عبد المنعم: العولمة ودورها في تهميش النظام الإقليمي العربي قضايا استراتيجية، ص١٥، مرجع سابق، هربرت شيلر ترجمة عبدالسلام رضوان، المتلاعبون بالعقول، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٣) ط ٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص١.

(٢) انظر د. رسلان منصور، وسمير إبراهيم: مستقبل العولمة، المرجع السابق، وانظر د. محمد مقدادي: العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م، ص

٦ - النمو السريع لأسواق المال العالمية (العولمة المالية): -

بدعوى الانفتاح على السوق النقدي والمالي العالمي وتحوله إلى أيدلوجية صارمة يخضع لها الجميع والناتج عن السياسات المتعلقة بتحرير الأسواق المالية والنقدية التي شجعتها حكومات الدول الصناعية الكبرى، وبالنمو السريع لرأس المال العالمي، ومن جراء زيادة اندماج الأسواق المالية ببعضها أصبح العالم رهينة لمجموعة من المضاربين الذين يضاربون بالعملات المالية [١].

٧ - تزايد درجات الارتباط والتشابك في الاقتصاد الدولي: -

لدرجة أن الكثير من الصناعات ربما تتوقف أو تنهار تماماً في حال حدوث أي حدث طارئ يحول دون التعامل مع الموردين من الخارج [٢].

٨ - إهمال البعد الاجتماعي: -

وذلك بزوال الحدود، وتدمير النقابات العمالية، وتضييع كثير من الفرص بسبب زيادة التشابكات العالمية، مما يدمر التماسك الاجتماعي، ويزداد تركز الثروة مع حفنة من الأغنياء يصل إلى بضع مئات (مليارديرات) يملكون ثروة تضاهي ما يملكه ٢.٥ مليار من سكان العالم. وهناك (٢٠٪) من دول العالم تستحوذ على (٨٥٪) من الناتج العالمي، وعلى(٨٤٪) من التجارة العالمية ويمتلك سكانها (٨٥٪) من المدخرات العالمية [٣].

هذه أبرز مظاهر وأبعاد العولمة الاقتصادية، وإلا فهي تعني الكثير غير هذا الذي ذكر إنها تعني اقتصاداً غير عادل، وغير أخلاقي اقتصاد يقوم على استلاب جهد الضعفاء لمصلحة الأقوياء سواء كانوا شعوباً أم أفراداً.

---

٩٩ وما بعدها.

(٣) المراجع السابقة بالإضافة إلى السيد أحمد مصطفى عمر: إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك العربي، السنة ٢٣، العدد (٢٥٦) ٢٠٠٠/٦م، ص ٧٩ وما بعدها

(٣) د. رسلان خضور، د. سمير إبراهيم - مستقبل العولمة ص١٥ مرجع سابق، د. منير الحمش - الآثار السلبية للعولمة عن مجلة الشاهد عدد (١٩٧) (٢٠٠٢/١م)، د. إسماعيل صبري عبد الله - العولمة والاقتصاد والتنمية العربية - عن كتاب العرب والعولمة مرجع سابق ص٣٦٦، لمزيد من المعلومات انظر هانس بيتر مارتين، هارالدشومان - فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية - ترجمة د. عدنان عباس علي.= =سلسلة عالم المعرفة (٢٣٨) ص (٢١-٣٩).

إنه لا يُعنَى أبداً بما تحتاج إليه الشعوب من سلع وخدمات بل يمضي وبسرعة وبشره بالغ نحو الربح الذي يعود على مروجيه بالرفاه [1].

إنه لا يتردد أن يقيم مصنعاً في بلاد الأطراف (الدول النامية والضعيفة بما فيها دول المسلمين) لا تُعنى إلا بحاجات ثانوية (كالزينة وغيرها) بينما تفتقر هذه البلاد إلى المواد الأساسية، بل إلى الضروريات الأولى[2].

وهو لا يتلكأ في نقل المصانع القذرة والملوثة للبيئة إلى العالم الثالث غير مكترث بما يؤول إليه أمر الشعوب في هذه البلدان من جراء التلوث، ويبرر ذلك بالنظريات المدحوضة وبما يسمى بالانفتاح الاقتصادي[3].

إن عولمة الاقتصاد أو الاقتصاد المعولم لا يتباطأ أن يرسل إلى العالم الثالث (المتخلف) الأدوية التي يمنع تداولها عنده، ويصدر إلى العالم الثالث والإسلامي أنواعاً من السجائر تحمل نسبة من "النيكوتين" لا يجيز تناولها في بلاده امتداداً لاقتصاد الاستعمار القديم[4].

وهو الذي يحجر علينا أن نستقل بأنفسنا بل يحتم ويفرض علينا التبعية المطلقة فهو يشتري منا المواد الخام بأبخس الأثمان ليبيعها لنا ثانية كمستهلكين بأضعاف مضاعفة.

إن الذي يجني ثمرة هذا النوع من الاقتصاد والذي لا ترضاه إنسانية الإنسان فضلاً عن أمة الإسلام، إنما هي فئة قليلة تشبع إلى حد التخمة بينما أكثرية وغالبية من الطبقات والشعوب لا تكاد تجد ما يقيم أودها أو يرطب كبدها.

---

(١) محمد جمعة - الاقتصاد الماليزي بعيداً عن إيقاع العولمة - مجلة المجتمع العدد (١٤٠٧) ربيع الآخر ١٤٢١هـ ٢٠٠٠/٧/٤م ص٤٧. وانظر محمد قطب - المسلمون والعولمة - دار الشروق ط١/١٤٢١هـ ـ٢٠٠٠م ص١٠، د. يوسف القرضاوي - المسلمون والعولمة - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ط١/١٤٢١هـ ص٢٨.

(٢، ٣) د. يوسف القرضاوي: المسلمون والعولمة، ص ١٨، مرجع سابق.

(٤) د. يوسف القرضاوي: المسلمون والعولمة، المرجع السابق وانظر هانس بيتر مارتين، هارالد شومان: فخ العولمة، الاعتداء على الديمقراطية، ترجمة عدنان عباس علي، سلسلة عالم المعرفة (١٣٨) الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جماد الأولى ١٤١٩هـ، ص٣٦٨، وانظر د. منير الحمش: في مناقشة لورقة د. بول سالم المقدمة لمركز دراسات الوحدة العربية، في كتاب العرب والعولمة، ط ٢ /١٢/ ١٩٩٨م، ص٢٧٨، مرجع سابق.

وهذا الذي وصلت إليه الحضارة المادية الحديثة من اهتمام بالجسد متعاً وشهوات وملذات تتمتع بها فئة قليلة، وشرذمة تمسك بزمام هذه الحضارة في حين أن غالبية عظمى من البشرية يبيتون يتقلبون في العراء وفي ألم الجوع والبرد والمخافة والفاقة، وذلك كله في غياب الإسلام وأبناء الإسلام الذين تخلوا عن حمل رسالتهم وتبليغها، وحيث فرطوا في واجبهم الديني والإنساني، وقد أوصى الإسلام بالتراحم والتحاب والتواد والتآلف والتكافل، ولم يرض للفرد المسلم أن يبيت شبعانٌ وجاره إلى جانبه جائع. قال الله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (١).

وجسد النبي ﷺ هذا المعنى حيث قال: "ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه"(٢) وقال رسول الله ﷺ أيضاً: " ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم "(٣).

ومن هنا فإن الصفة الغالبة في النظام المصرفي العالمي هى الربا ولذا فهو اقتصاد طفيلي يقوم على المالية والمعلوماتية ويتميز بصفتين خسيستين هما: - المضاربة، وعدم الإنتاج، إنه يستطيع أن يشن هجمات تؤدي بحياة الشعوب وحياة أمة بكاملها، وهو وراء كل الأزمات الاقتصادية التي عصفت بكثير من بلاد العالم مثل دول الأسيان (النمور الأسيوية، ماليزيا، إندونيسيا، سنغافورة،...).

إنه يقوم على امتصاص واجتذاب الأموال إلى دول المركز من شتى أرجاء العالم لأسواقها المالية حتى تقوم بإعادة ضخها إلى دول الأطراف على هيئة قروض، واستثمارات وشركات عابرة للقارات والمستفيد الوحيد هي الدول الغنية المصنعة المنتجة (التي هي دول المركز بالطبع) خاصة الولايات المتحدة الأمريكية (٤).

---

(١) الحجرات آية ٩.

(٢) الحديث أخرجه الحاكم وهو في الأدب المفرد للبخاري وعند الطبراني في الكبير وفي سنن البيهقي عن ابن عباس وهو في السلسلة الصحيحة للألباني برقم ١٤٩.

(٣) الحديث ابن شيبة في المصنف في الباب السادس كتاب الإيمان والرؤى، ص ١٦٤.

(٤) هذه المعلومات كلها ترجع إلى / انظر محمد قطب - المسلمون والعولمة - دار الشروق - ط١/٢٠٠٠م ص١٠ وما بعدها د. رسلان خضور، د. سمير إبراهيم - مستقبل العولمة ص١٢-١٥ مرجع سابق، د. يوسف القرضاوي - المسلمون والعولمة - ص٢٦-٤٥.

إنه اقتصاد يجور على صفوف العمال ويفترسها، إنه يبخسهم أجورهم ويأكل جهودهم لحساب قلة رأسمالية تستخدمهم كماكينات آلية إذ ربما يستمر العمل لأكثر من خمس عشرة ساعة عند الكثير منهم.

* * * * *

المطلب الثاني:
البعد السياسي للعولمة

يجري التعبير عن هذا المفهوم بإخضاع العالم الثاني والثالث وبالذات العالم الإسلامي والعربي لسياسة القوة العظمى والقطب الأوحد في العالم. إن العولمة السياسية مرتبطة ببروز المجال السياسي العالمي المستمد حضوره من مؤسسات وقضايا ومسؤوليات وقوانين وأزمات عالمية تتطلب إدارة عالمية تطرح حلولاً ومخارج مشتركة تتخطى الدول مهما كانت كبيرة أو عظيمة. إن التدفق الحر لكل ما هو سياسي كالتدفق الحر للمعلومات والبيانات والسلع والمنتجات والأفكار على الصعيد العالمي وعبر الوسائط التكنولوجية والفضائية الحديثة [1].

مظاهر العولمة السياسية:

وتتجلى مظاهر العولمة السياسية في عدة أمور أفرزها ما يسمى بـ " النظام العالمي الجديد" وبروز القطبية الواحدة والقوة العظمى (الولايات المتحدة الأمريكية)، وغياب المنافس التقليدي (الاتحاد السوفيتي) واندثار الشمولية والنزوع إلى الديمقراطية والتعددية السياسية والمناداة بحقوق الإنسان(أي إنسان؟!!) لا ندري أنه إنسان الغرب

د. محمد محمود الإمام - الظاهرة الاستعمارية الجديدة ومفرزاتها بالنسبة للوطن العربي - بحث ضمن كتاب العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي - عن مركز البحوث العربية - الجمعية العربية لعلم الاجتماع - مكتبة مدبولي ١٩٩٩م ص٧٣ وما بعدها، د. خلاف الشاذلي - آفاق التنمية العربية وتداعيات العولمة المعاصرة على مشارف الألفية الثالثة - ضمن مجلة شؤون عربية ص٣٧ وما بعدها مرجع سابق.

(١) د. يوسف القرضاوي - المسلمون والعولمة - دار التوزيع والنشر الإسلامية بور سعيد ط١/ ١٤٢١هـ ص٢٠، وانظر عبد الخالق عبد الله - عولمة السياسة والعولمة السياسية - عن مجلة المستقبل (٢٧٨) ٢٠٠٢/٤م ص٢٩، ص٣٠.

فقط...، حيث توجد ازدواجية واضحة في تطبيقها بسبب الهيمنة الأمريكية على الأمم المتحدة ومجلس الأمن، والاستخدام المهين المعيب لفكرة التدخل العسكري والحصار الاقتصادي، وغيرها من السياسات باستصدار قرارات باسم الشرعية الدولية! لحصار من ليس في فلكهم من الشعوب [1].

إنها نزعة متأصلة عند الغرب من خلال آفاق السيطرة والشمولية التي سادت بعض النزعات والأيدلوجيات السياسية في العالم.

ويسعى أصحاب هذه النزعة باستغلال الوضع الحالي في العالم خاصة بعد انهيار الكتلة الشرقية إلى فرض هيمنته على المصالح الاستراتيجية العالمية، وباستخدام - في كثير من الأحيان - الشرعية الدولية التي يقودونها ويتحكمون في قراراتها وأخذ مبادرات وإصدار قوانين داخلية تسمح للطرف المهيمن بالتدخل في أي بقعة من بقاع الأرض معتمدة على قدراتها العسكرية، وشركاتها المالية وعلاقاتها السياسية.

ومن خلال حلف الشمال الأطلسي الذي أصبح القوة العظمى في العالم عسكرياً تتربع الولايات المتحدة الأمريكية على قمته لتصل بذلك إلى وجود عسكري عالمي، إن هذا الحلف يعتبر في الحقيقة الذراع والعصا الغليظة للعولمة السياسية والأمنية والاقتصادية، ومن خلاله تسعى الولايات المتحدة الأمريكية لقيادة ما يسمى أو يطلق عليه في الوقت الحاضر العولمة [2].

إن هذه النزعة لم تنشأ من فراغ إنما نشأت من خلال منظمات دولية عالمية دعت إليها الدول الكبرى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وقد كان أساس دعوتها هو إقامة نظام أمن عالمي لتشجيع دول العالم قاطبة على حل مشاكلها سلمياً، عرفت هذه المنظمة بـ " عصبة الأمم ". ولكنها لم تدم طويلاً حتى نشبت الحرب العالمية الثانية والتي كانت أشد ضراوة من سابقتها فأكلت

---

(١) د. علي الفقيه - المستقبل العربي والعولمة عن صحيفة الثورة اليمنية - السبت رمضان ١٤٢٠هـ ص١١.

(٢) فتحي يكن، رامز طنبور - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي - مؤسسة الرسالة ط١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ص٨٠ - ٨٣.

الأخضر واليابس خاصة في دول أوروبا، فدعت هذه الدول من جديد لتشكيل منظمة أخرى لإيجاد نظام أمن وقائي عالمي تشكلت على إثر ذلك ما يعرف اليوم بـ " منظمة أو هيئة الأمم المتحدة" (١).

وقد كان الدور البارز للولايات المتحدة وبريطانيا، حيث شكلتا الوزن الثقيل في الإعداد للميثاق وصياغته، ومن هنا فقد كانت هيئة الأمم المتحدة معبراً هاماً للسياسة الأمريكية على وجه الخصوص، أفسح لها المجال فيما بعد وخاصة بعد تقطع أوصال الكتلة الشرقية لتقوم بالدور الأساسي، ولتعمل على إيجاد نظام عالمي أحادي القطبية، ولتفرض بعد ذلك هيمنتها على المصالح الاستراتيجية العالمية، فإذا بها تمد أذرعها من خلال هذه المنظمة إلى كل مكان في العالم إلى عمق أوروبا، وإلى دول الخليج حيث منابع النفط، وإلى غيرها من دول العالم.

حتى تمكنت بدافع السيطرة والهيمنة اللامحدودة من أخذ مبادرات إصدار قوانين داخلية تسمح لها بالتدخل في أي بقعة من الأرض إذا كان ذلك يخدم مصلحتها القومية العليا، معتمدة في ذلك كما أسلفت على قدراتها العسكرية الضاربة، وشركاتها المالية العملاقة وعلاقاتها السياسية الممتدة خارج الحدود والسدود (٢).

ويشير البعد السياسي للعولمة إلى أن الدولة لا تكون هي الفاعل الوحيد على المسرح السياسي العالمي، ولكن توجد إلى جانبها هيئات متعددة الجنسيات، ومنظمات عالمية، وجماعات دولية تسعى هي وغيرها من التنظيمات العالمية الأخرى نحو مزيد من الترابط والتداخل والاندماج الدولي في مجالات متعددة بحيث يتقلص مبدأ السيادة، أو حتى يتآكل تحت تأثير هذا التداخل وهذا الاندماج، بدافع الحاجة إليه، فلا مكان للسيادة بعدئذٍ إلاَّ من الناحية

---

(١) فضيل أبو النصر - الإنسان العالمي (العولمة والعالمية والنظام العالمي العادل) بيسان للنشر والتوزيع ط١/ ٢٠٠١م ص٩٤، وفتحي يكن ورامز طنبور العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص٨٠ وما بعدها، انظر عبد الله أحمد أبو راشد - العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية - دار الحوار للنشر والتوزيع سورية ط١/ ١٩٩٩م ص٢١، ٢٠.

(٢) السيد أحمد مصطفى عصر - إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك. المستقبل العربي (٢٥٦) ٦/٢٠٠٠م ص٧٣.

القانونية ولكنها مبتورة عملياً، أما الناحية الفعلية فليس لها وجود. إن تقليص فاعلية الدولة وتقليل دورها إنما يظهر أكثر وضوحاً وجلاء بفعل الشركات المتعددة الجنسيات من حيث أنها تقحم نفسها رغم أنف الدولة الوطنية المضيفة في صنع القرار السياسي، وهذا هو المقصود من أن مبدأ السيادة آخذ في التآكل نتيجة علاقة الدول فيما بينها في مختلف مجالات الحياة، وتصبح حرية الدول بحسب مشيئتها ناقصة [١] لذا فإن العولمة السياسية من معانيها نقل السلطة الوطنية القومية واختصاصاتها إلى مؤسسات عالمية تتولى تسيير العالم وتوجيهه، وهي بذلك تحل محل الدولة وتهيمن عليها. [٢]

ويتجلى البعد السياسي أيضاً في ظهور بنية جديدة لحكم عالمي (Global - Governance) كما جاء في تقرير التنمية لعام ١٩٩٩م ضمن برنامج الأمم المتحدة تشكل فيه الحكومات والشركاء في المجتمع المدني والقطاع الخاص وغيره إئتلافات وظيفية عبر الحدود الجغرافية والخطوط السياسية التقليدية لتحريك السياسات العامة على نحو يلبي تطلعات مواطنين عالميين[٣]!!

كما يرى بعض الباحثين من أمثال "أن التحكم على مستوى القوميات لم يعد فعالاً بوجه العمليات الاقتصادية والاجتماعية المعولمة، فالسياسات القومية والخيارات السياسية قد نَحّتها السوق العالمية جانباً، وهي أقوى من أقوى دولة. وأن رأس المال أصبح حر الحركة وليست له ارتباطات قومية وسيتخذ مقره حيث تملي مقتضيات الأفضلية الاقتصادية اختيار المكان " [٤].

والملاحظ أن هذه دعوة واضحة للاندماج الذي يدعو إليه مروجو العولمة مع إضفاء جانب الإيجابية الكاذب للسوق العالمية حتى يتسنى للشركات العملاقة الدخول

---

(١) عبد الجليل كاظم الوالي - جدلية العولمة بين الاختيار والرفض - عن المستقبل العربي (١٧٥) ٢٠٠٢/١م ص٧١.

(٢) السيد أحمد مصطفى عمر- إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك - ص٧٤ مرجع سابق.

(٣) مارك مالوك براون (Mark Malloch Brown) مقدم تقرير التنمية البشرية لبرنامج الأمم المتحدة لعام ١٩٩٩م عن د. نايف علي عبيد - نفس المرجع السابق.

(٤) د. نايف علي عبيد نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

بهذا التمهيد... [1].

ويذهب متطرفون غربيون إلى أن الدول القومية أصبحت تقوم مقام السلطات المحلية للنظام الدولي، فهي لم تعد تستطيع على نحو مستقل أن تؤثر في مستويات النشاط الاقتصادي أو القوة العاملة داخل حدود أراضيها؛ لأن هذه المستويات تمليها اختيارات رأس مال حر الحركة عالمياً. وأصبحت مهمة المجالس البلدية المحلية ضمن حدود الدول حتى الآن؛ أي تقديم البنية التحتية والخدمات العامة التي تحتاجها الأعمال الاقتصادية بأقل تكلفة ممكنة [2].

إلاأ ن بعض النخب الفكرية القومية لا ترضى بمثل هذه الأفكار التي تصف الدولة وتصورها في حالة من الضعف والخور في عديد من الجوانب فيرددون: بأن الدولة لا تزال مؤسسة محورية خاصة فيما يتعلق بخلق شروط التحكم الفعال ويدللون على ذلك بعدة مجريات على الساحة الدولية منها على سبيل المثال:

سيطرة الدولة على إدارة الناس وحركتهم والحد من بواعث الهجرة أو تسهيلاتها فهي التي تحركهم وهي التي تملك الكلام مع المؤسسات والدول الأخرى باسمهم[3].

قيام الدولة بدور كبير في اقتصادياتها القومية الذي يؤدي إلى سيطرتها على جزء كبير من المجتمع وتوجيهها لتحقيق الأهداف المرجوة [4].

الدور الذي تلعبه الدولة في التحكم الاقتصادي يبرز بين الحين والأخر فهذه اليابان في نوفمبر ١٩٩٧م تعلن وزارة ماليتها والمصرف المركزي عن دعمهما للمنشآت

---

(١) بول هيرست، وجراهم تومسون - مساءلة العولمة: الاقتصاد الدولي وإمكانية التحكم - ترجمة إبراهيم= =فتحي (القاهرة المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م) ص٢٥٧ نقلاً عن د. نايف المرجع السابق ص٢٤، وانظر العولمة ومستقبل الدولة القومية - الحلقة الثالثة بول هرست وغراهام تومسون عن جريدة الحياة، العدد (١٢٠٤٠) السبت ١٩٩٦/٢/١٠ ص١٩.

(٢) بول هيرست، جراهام تومسون، مساءلة العولمة عن د. نايف المرجع السابق ص٢٤، وانظر العولمة ومستقبل الدولة القومية ص٣ بول هيرست، جراهام تومسون عن جريدة الحياة العدد (١٢، ٤٠) السبت ١٩٩٦/٢/١٠م ص١٩.

(٣) محمد الأطرش - العرب والعولمة ما العمل؟ - عن كتاب العرب والعولمة ص٤١٧ مرجع سابق.

(٤) المرجع نفسه - ص٤١٨.

المالية المنهارة لتمكينها من تسديد التزاماتها المحلية والأجنبية [1].

إن هذه الردود الانفعالية - من وجهة نظر الباحث - لا تقدم ولا تؤخر لأن شاهد الحال مقدم على شاهد المقال، فهذه أزمة دول النمور الآسيوية عام ٩٧م وتلك أزمة المكسيك عام ١٩٩٥م، ولا يخفى ما حدث ويحدث في أمريكا اللاتينية وغيرها ممن تغلب على أزماتها خارج نطاق النظام الدولي الجديد، لهذه العوامل وغيرها فإن هذا الدفاع إنما هو انفعال وتوتر قبل أن يكون رداً حقيقياً وفعالاً.

ولأن هذا الضعف المزعوم لا يظهر غالباً إلا في الدول الضعيفة المغلوبة على أمرها كما هو الواقع والمشاهد، فقد يظهر ذلك على بعض الدول القوية لكن بشكل نسبي، وهذا بول كنيدي يلخص مستقبل الدولة القومية يعرض من خلاله بعض التغيرات التي طرأت على الحق السيادي للدولة يقول: " إنه حتى لو كانت استقلالية الدولة ووظائفها قد ضعفت بسبب الاتجاهات العابرة للدولة، فلم يظهر حتى الآن بديل مناسب عن الدولة يكون بمنزلة الوحدة الأساسية، مثلما هي الدولة في التعامل مع التغيير العالمي. صحيح أنه قد يطرأ إضعاف للمفهوم التقليدي للسيادة نظراً إلى العديد من التغيرات العالمية، وصحيح أنه قد برزت تيارات تنادي بعدم الأخذ بشكل مطلق بالحق السيادي، كما هي حال التيارات المقاومة بواجب التدخل الإنساني، لكن تبقى الدولة القومية المصدر الأول لهوية معظم الناس، وما زالت تلعب دور المؤسسة الرئيسة التي ستحاول الشعوب أن تستجيب للتغيير من خلالها. وما زال اثنان من مكونات الدولة القومية، وهي (الهوية والشرعية) غير موجودين على صعيد ما فوق الدولة أو الصعيد العالمي " [2].

المنظمات غير الرسمية ودورها:

إن تزايد عدد المنظمات غير الرسمية إنما هو دليل صارخ على توسع الأنشطة غير الحكومية رغم أنها تركز نشاطاتها في الأدوار الإنسانية ورغم أنها إلى الآن ليس لها دخل في القرار إلا أنها تقدم الالتماسات لتفعيل القرارات بل هي تعمل الآن بجد ونشاط خاصة الشركات المتعددة الجنسيات على أن تكون الدولة الوطنية بمثابة الحارس

(١) انظر د. عبيد - العولمة مشاهد وتساؤلات - ص٢٠ مرجع سابق.
(٢) بول كنيدي - الاستعداد للقرن الواحد والعشرين - نقلاً عن د. نايف - العولمة مشاهد وتساؤلات ص٢٦.

بالنسبة لها، كما أنها تتضمن تحولاً في تركز وعي واهتمام الفرد من المجال الوطني إلى المجال العالمي ومن المحيط الذاتي إلى المحيط الإنساني من الطور الفعلي فالمذهبي فالوضعي فالقومي إلى الطور العالمي الكوني، إنها تتضمن زيادة الوعي بعالمية العالم وبوحدة البشرية بعالمية التفكير وعالمية الحقوق والواجبات وعالمية الإنجازات، وعالمية الأزمات، وعالمية الطموحات والتطلعات وعالمية البقاء والفناء، إن المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية كلها ستكون عالمية بطبعها، والحلول المطلوبة لابد أن تكون عالمية أيضاً[1].

لكن هل هذا التنظير هو عين الواقع!! هذا تساؤل يرد عليه واقع الحال، بالسلب والنفي.

كما أن العولمة السياسية تشير إلى أن رؤية المسائل السياسية قد أصبح لها اعتبار كوني وأنها قضايا تهم العالم ولم تعد المسألة قطرية أو محلية لذا فهي تتطلب حلولاً كونية، ومن هنا يلاحظ المتأمل لماذا تعقد المؤتمرات تلو الأخرى حول ما يسمى بالإرهاب الدولي، والمجاعة في العالم، وتجارة المخدرات، ومشكلة اللاجئين في العالم ومشكلة التلوث البيئي، وحقوق المواطن، وحقوق الإنسان، وحقوق الأقليات، وحقوق المرأة وغيرها من المسميات الجديدة[2].

وتكاد سياسات الدولة الوطنية تخلي مكانها للسياسات المعدة والمقررة في الدوائر الدولية الرسمية، كما هو الحال في المؤسسات المالية ذات الشرعية الدولية!! مثل صندوق النقد الدولي أو البنك الدولي أو مؤتمرات الأمم المتحدة المختصة بالتجارة والتنمية والتعاون، أو غير الرسمية مثل الشركات الخاصة الكبرى[3].

---

(١) انظر الحسن عصمة - العالم الإسلامي وتحديات العولمة - عن مجلة الكلمة العدد ١٩ ربيع ١٩٩٨م ص٧٨.

(٢) نفس هذا المعنى يذكره إيفان لاورد (Evan Laurd) عن برنامج الأمم المتحدة تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٨م عن د. ثابت - العولمة مشاهد وتساؤلات - مرجع سابق ص٢٨، وانظر فتحي يكن - ورامز طنبور - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص٥٨ وما بعدها مرجع سابق، انظر الحسين عصمة - العالم الإسلامي وتحديات العولمة - عن مجلة الكلمة (١٩) ص٧٧ مرجع سابق، وطلال عتريسي في تعقيب على السيد ياسين في مفهوم العولمة، انظر العرب والعولمة ص٤٤ - ٤٦ مرجع سابق، وانظر عبد الخالق عبد الله - عولمة السياسة - عن المستقبل العربي العدد ٢٧٨ ص٢٥ مرجع سابق.

(٣) برهان غليون - الوطن العربي أمام تحديات القرن الواحد والعشرين - عن المستقبل العربي (٢٣٢) ١٩٩٨/٦م ص١١.

وتستهدف العولمة السياسية كما يصفها الجابري الدولة والأمة والوطن، والعمل على التفتيت، والتشتت وبالتالي إيقاظ أطر للانتماء سابقة على الدولة كالقبيلة والطائفة والجهة والتعصب المذهبي حتى تصل إلى تفتيت المجتمع وتشتيت شمله [١].

إنها عالم بدون دولة وبدون أمة وبدون وطن، إنها عالم المؤسسات العالمية والشبكات العالمية، وهي المسِّيرة لهذا العالم وأما المسيَّرون فهم عالم المستهلكين للمأكولات، والمعلبات والمشروبات والصور (المعلومات) والحركات والسكنات التي تفرض عليهم، وأما وطنهم فهو الفضاء الذي تصنعه شبكات الاتصال ويحتوي كل المجالات الاقتصاد والسياسة، والثقافة، وغيرها... [٢]، بل يتوقع الإيطالي ريكاردو بتريلا أن تكون السلطة في المستقبل " في أيدي مجموعة متحدة من رجال الأعمال الدوليين وحكومات مدن همها الأول تعزيز القوة التنافسية لتلك المشاريع والمؤسسات العالمية المستوطنة في مدنها [٣].

من هنا تأتي سيطرة الاقتصاد على السياسة بقوانين السوق تحت ستار منطق حرية السوق في الدولة.

الدعوة التي تتبناها قوى العولمة السياسية:

وتتبنى العولمة السياسية بجلاء ووضوح الدعوة إلى اعتماد الديمقراطية في الحكم لا مرد له، وهي دعوة صريحة إلى انتهاج حكم طاغوتي ونبذ حكم الله، قال الله تعالى:{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [٤] وقال تعالى:{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}[٥] وتعني اعتماد الليبرالية السياسية وحقوق الإنسان (كما يفهمها الأمريكان) والحريات الفردية والحريات العامة، وهي إعلان لنهاية سيادة الدولة أو تقويض سلطتها، وهي أيضاً دعوة لنهاية الحدود ولتكامل حقل الجغرافية السياسية. بل إنها دعوة لا زالت

(١) انظر محمد عابد الجابري - قضايا في الفكر المعاصر - ص١٤٩ مرجع سابق.
(٢) انظر محمد عابد الجابري نفس المرجع السابق.
(٣) هانس بيتر مارتين، وهار الدشومان - فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية - ترجمة د. عدنان عباس - سلسلة عالم المعرفة (٢٣٨) ١٩٩٨/١م ص٥٤.
(٤) المائدة آية ٤٩.
(٥) المائدة آية٥٠.

قيد الشكل إلى عالم بلا حدود أي توحيد العالم الذي جاء متناقضاً حيث تعمقت الهوة بين أجزاء العالم في لحظة توحيده فكان تقدم طرف سبباً لتخلف طرف آخر وتجاوز الحدود الجغرافية والاقتصادية والثقافية وكذلك الحدود السياسية بل إلغاؤها في مرحلة لاحقة ربما كلياً ونهائياً، وهذا هو جوهر العولمة وهدفها النهائي[1].

وإن نظرة تأمل في الحال الواقع لا يخفى على صاحبها أن هذا نوع من التشريع واتخاذ الأنداد الذين يشرعون قوانين لا تخدم في النهاية إلا أهواء شرذمة من الناس بيدهم مقاليد الأمور وتصب هذه التشريعات في مصالح وأفكار الطرف القوي في العالم في حين أنها تهمش الأطراف الأخرى بل وتسخر من تستطيع منهم لمصلحة الأقوى كما هو الواقع من خلال مظاهر العولمة سواء الاقتصادية منها أو السياسية أو غيرهما. وصدق الله العظيم حيث يقول:{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} [2] تعالى:{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ} [3].

إنها دعوة إلى الانتفاع المادي والجشع الاقتصادي واحتكار الثروات وفتح الأسواق للتنافس الذي يزيح ويمحو الضعيف والمتهافت الهزيل ولا يبقى إلا الأقوى والأصلح والأفضل ومن يملك زمام المبادرة والسيطرة، كل هذا في ظل محاصرة الضعفاء والمهازيل بوسائل شتى من مال وإعلام خاصة الدول الإسلامية وبالذات (المسلمون العرب) نتيجة الضعف الموجود والضمور الواضح في بنية بعض تلك الهويات والثقافات وتكويناتها. وفي النهاية فإن هذه السياسات لا تخدم إلا طرفاً واحداً لا يعبر إلا عن رؤيته ولا يتكلم إلا بلغته ألا وهو الغرب وبالأخص الأمريكان.

سياسة الولايات المتحدة في العالم:

إن من يقود العولمة لا يكتفي بالشعارات بل يمارس سياسة واقعية، وهاهي الولايات المتحدة الأمريكية تنتهج سياسة السيطرة على المنافذ العالمية البحرية والبرية والجوية

---

(١) عبد الخالق عبد الله - عولمة السياسة والعولمة السياسية - عن المستقبل العربي العدد (٢٧٨)= =٢٠٠٢/٤م ص١٠٤، وانظر محمد محفوظ - نقد المشروع الثقافي العربي وطموحات العولمة - عن الكلمة العدد ١٩ ص٥٦.

(٢) البقرة آية ١٦.

(٣) التوبة آية ٣١.

واستعمالها في خلق توازنات إقليمية في أنحاء العالم، ومنع أي قوة من النمو بهدف عدم منافستها، ومن دون أي تدخل عسكري مباشر، وفي نفس الوقت تقوم بإقامة علاقات مع جميع القوى الكبرى في أوروبا وغيرها بحيث يكون لهذه الدول نفع في علاقاتها مع القوة المسيطرة عالمياً - وهي بالطبع أمريكا - أكثر من قطع علاقاتها معها.

ومن هنا يتضح الأمر أكثر وهو أنه لماذا جعلت أمريكا من نفسها مركزاً لعلاقات العالم السياسية والدبلوماسية والأثنية والاقتصادية والثقافية من خلال إقامة علاقات مع أغلب دول العالم بحيث تكون هذه الدول مستفيدة من علاقاتها مع أمريكا، ولا يمكن أن تتخلى عن تلك العلاقة. وعليه فليس من باب المصادفة أن يكون مقر الأمم المتحدة في نيويورك والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي في واشنطن [1].

أيدلوجيا العولمة:

في حين أن هناك نخبة من شرائح المجتمع ترى في أن الذي علينا أن نواجهه بالحرب والرفض وعدم التسليم وعدم القبول إنما يكمن في " أيدلوجيا العولمة " التي تعني الهيمنة وانتعاش موازين القوى السياسية والاقتصادية وغيرهما في العالم لصالح الأقوى بل لصالح القطب الواحد (أمريكا) الذي يريد أن يفرض سياسات يسير الكل في ركابها... وهذه في حد ذاتها محاولة لإعادة نظام السيطرة القديم أو الاستعمار القديم[2].

ويشير هذا البعد كما أسلفت إلى العمل على تقديم نمط حضاري يخص بلداً معيناً هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع أي أنها وبصورة مباشرة تعبر عن الأيدلوجية المرفوضة لدى العالم وهي الهيمنة على العالم وأمركته [3].

وإن من ملامح العولمة السياسية أنها عملت وتعمل على نقل السلطات السياسية للدول والحكومات ووضعها في يد المؤسسات المالية والتجارية العالمية التي لا جنسية لها. وقد أقامت العولمة دولتها الخاصة بها، وهي دولة فوق الأوطان، تمتلك الآلات والشبكات والوسائل الخاصة بها، والمتمثلة بصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التعاون

---

(١) بول سالم - الولايات المتحدة الأمريكية معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين - عن كتاب العرب والعولمة ص٢٠٩ وما بعدها مرجع سابق.

(٢) السيد أحمد مصطفى عمر - إعلام العولمة - عن المستقبل العربي العدد (٢٥٦) ٢٠٠٠/٦م ص٧٤.

(٣) مها دياب - تهديدات العولمة للوطن العربي - عن المستقبل العربي (٢٧٦) ٢٠٠٢/٢م ص١٥٨.

الاقتصادي، ومنظمة التجارة العالمية التي تعمل مجتمعة على تجاوز السيادة الوطنية للدولة قطعة قطعة[1].

ومما يشير إليه البعد السياسي فرض قيم سياسية واجتماعية أمريكية مثل: - التحرر من قيود الدولة القومية، والتطلع إلى آفاق العالمية بكل ما تتضمنه ذلك من حقوق الإنسان (كما يفهمها الأمريكان)، وديمقراطية السوق (حسب مفهومهم)، ومحاربة القيم الوطنية والعرقية والإرهاب (بناءً على تحديداتهم)، وبمعنى آخر تحويل العالم إلى مجتمع عالمي تسوده قيم ومبادئ موحدة على حساب الهوية الوطنية والتنوع الثقافي والتعدد الحضاري للشعوب.

مشروع النظام العالمي الجديد:

ويتم هذا بالحسنى مع من يستسلم وبالقوة والإكراه مع من يتمرد، إنه منطق يقوم على استعباد الشعوب وتنحية الثقافات بدعوى أن هذه الثقافات وأنماط التفكير والسلوك واتساق القيم لديها تتسم بالانغلاق والشمول وعدم التسامح ورفض الاندماج في تقاليد أسلوب الحياة الأمريكي[2].

إن مشروع النظام الدولي الجديد يقوم على أساس تفتيت الوحدات والتكوينات السياسية (أي الدول القائمة) إلى كونتونات ودويلات صغرى ضعيفة ومهزوزة ومبتلية بالكوارث والمجاعات والصراعات والأزمات وذلك من خلال تكريس أفكار التجزئة والتقسيم واللبننة حيث تشجع أمريكا في حلولها وتدخلاتها على تفتيت البلد الواحد إلى كيانين أو أكثر إن استطاعت وذلك حاصل في العراق والسودان وأفغانستان والبوسنة وفي يوغسلافيا وغيرها من أجل جعل الاهتراء الوطني والتناقض القومي والشلل الجغرافي كأسس صالحة لاستقبال العولمة الأمريكية والقبول بها كقدر لا راد له ولا غناء عنه واعتباره كقطار سريع متوجه نحو القرن القادم. ومن لا يركب القطار فمصيره العزلة والهامشية والذيلية والانسحاق [3].

ولقد بدأ في تنفيذ هذا المشروع بقصم ظهر الكتلة الأوراسية(العالم الأوروبي

---

(١) رعد كمال الخياري - العولمة وخيارات المواجهة - عن مجلة النور اليمنية العدد (١٠١) جمادي الأول ١٤٢٠هـ ص ٣٨، ٣٩.

(٢، ٢، ٣) المرجع السابق، ص ٣٨، ٣٩، ٤٠.

الأسيوي) أو (العالم الاشتراكي الثاني) ووضعه بما يحمل من نماذج تحت وطأة الأزمات الاقتصادية والسياسية والعرقية والدينية إن أمكن في حين لم يؤثر كل ما يجري بصورة مباشرة أو غير مباشرة في بنية النظم السياسية والاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأوروبا الغربية والشمالية الغربية أي (المنظومة الرأسمالية) أو المنظومات الجيوبوليتيكية التي لم تزل خاضعة تحت سيطرتها أو تدور في فلكها [1].

إن استراتيجية هذا النظام الجديد - بزعمهم - بسيادة البنتاغون تولي نظرية نزاعات الحدة الدنيا[*] أهمية بالغة ومتميزة من الناحية السياسية، وتعمل على نشرها اجتماعياً كعامل مساعد على تردي الأوضاع لأطول مدة ممكنة، بل تصل الأمور إلى تفجير الأزمات، وإثارة المشاكل وإشعال الحروب والعمل على إدامتها، وبث التفرقة الطائفية والمذهبية، وزيادة تناقضات المواقف عند البلاد الإسلامية المرتبطة بالغرب، أو الاعتراف السياسي الغربي السريع بأنظمة سياسية معادية، أو تأجيج الصراعات في أقاليم توحدت في كيان واحد.

ونظرة خاطفة وسريعة إلى الشركات العملاقة (إخطبوط العولمة) يتبين من خلالها مدى الاحتكار وتأكيد النزعة التسلطية الفردية والاهتمام بالربح، والربح فقط! وسنعرض لها بالتفصيل في عنوان خاص في الفصل الثاني.

وهكذا بالتحليق والنظر إلى الوسائل الأخرى للعولمة المهيمنة نجد البنك الدولي وأخيه الأصغر صندوق النقد الدولي وقوانينهما المجحفة والمكبلة أو المقيدة للدول عن التحرر والفك من ربقة الاستعمار، وبتطور وسائل الإعلام والاتصال أصبح كل شيء في العالم معروفاً ومرئياً بل وغازياً ويتمثل ذلك في الفضائيات من خلال الدش والديجتال حالياً وهذه أيضاً طامة أخرى وليس من حل لمقاومتها سوى الالتزام بالدين الحنيف والتوعية الشاملة من خلال كافة وسائل الإعلام، ولا سيما وقد دخلت الثقافة كمادة تباع وتشترى بفعل القوانين المنظمة لذلك من خلال منظمة التجارة العالمية..

إن أبرز ما يمكن أن يلاحظ في هذا المجال هو الدعوة إلى تبني الديمقراطية وحقوق الإنسان والتعددية السياسية.

(*) المقصود بالنظرية / إطالة أمد الوضعية الحالية وانهيارها من أجل ضعف العالم الثالث وخصوصاً آسيا وأفريقيا من خلال تغذية النزاعات الجهويه والمحلية والأقلية والعرقية الوثنية.. إلخ.

المشروع الإسلامي الرباني:

ولكن الذي يفهم الإسلام فهماً صادقاً حاذقاً يتضح له أن الإسلام قد دعا إلى ما هو أسما من ذلك وأعز وأشرف، حيث دعا إلى الشورى، دعا إلى احترام حقوق الإنسانية جمعاء من غير تفريق بين الأعراق أو الألوان أو الأجناس أو المعتقدات، وأمر بإقامة موازين بين البشر، وتمثلت مقاصد الشريعة الإسلامية في حماية النفس والعقائد والأعراض والعقول والأموال.

وتتصل بذلك حقوق أخرى كثيرة لم تعرفها البشرية إلا من العصر الحديث. ومن هنا فإنه لا ينبغي التخوف من تيار العولمة إن كان يطالب بما لا يخالف الشريعة ومقاصدها من حقوق الإنسان أو غير ذلك. فالإسلام يستوعب كل ما فيه حق وعدل ولكنه يحارب وينبذ ويعادي كل ما يخالفه من ضلالات وأوهام وجور وقهر وطغيان، ولعل من أكثر الآيات القرآنية التي عبرت عن رؤية الإسلام في هذا المجال قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (١).

بينت هذه الآية العلاقة بين الأمم والحضارات على قاعدة التعارف والتعاون " فتعارفوا " وليس على أساس النزاع أو الصدام أو الإلغاء والإقصاء ومن منظور هذه الآية تتواصل الحضارات فيما بينها وتتخلص من رواسب الصدام، وتصل إلى حوار الحضارات، وسيكون الكلام حول صدام وحوار الحضارات بالتفصيل في الفصل الثاني ضمن الأدوات الثقافية للعولمة.

وأما التعددية السياسية فإن في الإسلام ما يغنينا عن ذلك، فهو لا يحارب التعايش أو الاختلاف أو التنوع من حيث هو، بل يحارب التناقض والشقاق والتنافر والتضاد وهيمنة روح الفرقة. إن الإسلام يدعو أولاً إلى الاتحاد والتمسك بالعروة الوثقى والاعتصام بحبل الله جميعاً وينهى عن التفرق والتشرذم والتنازع الذي لا ينتج عنه إلا الفشل واستلاب الأرض والعرض وتسلط الأعداء على الأمة.

ويتضح ذلك من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التالية:

---

(١) الحجرات آية ١٣.

قال تعالى:{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} [1]وقال تعالى: -{وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}[2].

وقال تعالى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [3] وقال تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} [4].

وكذلك حذرنا الرسول ﷺ من الفرقة والتشرذم والتناحر والشقاق. وذكر لنا أن هذه صفات يبغضها الله سبحانه وتعالى ومآلها في النهاية إلى النار وبئس المصير. قال رسول الله ﷺ محذراً: «.. **وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة**»[5] وعند البزار والحاكم من حديث ابن عباس بسند صحيح: «**لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه**» [6] والله عز وجل يقول:{وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}[7].

لقد غرس الإسلام في المؤمن حب الناس جميعاً وحب الخير لهم وإقامة العدل بينهم وعدم المساس بحقوقهم ونوه الإسلام إلى ذلك في أكثر من آية وحديث. قال الله عز وجل:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ}[8].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً..**»

---

(١) آل عمران آية، ١٠٣، ١٠٥.
(٢) الروم آية ٣١، ٣٢..
(٣) الأنفال آية ٤٣.
(٤) الأنفال آية ٧٣.
(٥) من حديث عبد الله بن عمر وأخرجه الديلمي (٥٣٤٧) وكذا الحاكم والترمذي وأبو داود من حديث قتادة..
(٦) هو في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٤٨) مخرج عن الدولابي في الكتب والحكم ووافقه الذهبي..
(٧) آل عمران آية ١٠٥.
(٨) النساء: آية ١.

الحديث[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «والله ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه» [2].

وأوصى الرسول ﷺ والصحابة من بعده ألا يمس المحاربون شيخاً ولا طفلاً ولا امرأة ولا عابداً في صومعته ولا راهباً في بيعته، ووصى الله تعالى الأولاد بوالديهم ولو كانا كافرين حسناً قال تعالى:{وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً} [3].

وعقيدة المسلم وثقافته لا تسمح بالنزعات العنصرية والنعرات العرقية لاختلاف الألوان أو اللغات أو الأوطان، بل نظر إلى ذلك كله نظرةً ربانية تدل على عظمة الخالق وأنها آية من آيات الله في خلقه [4].

قال تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}[5] فشعور المسلم بإخوانه بني الإنسان جميعاً ليس أمراً ثانوياً عنده ولا ناقلة في دينه، إنما هو عقيدة يدين الله بها ويلقاه يوم القيامة يرجو ثواب ذلك والقربى عنده. [6] قال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم» [7]. وقال ﷺ: «الناس لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود» [8]... إلى آخر

(١) من حديث أبي هريرة عند الإمام أحمد والترمذي والبيهقي في شعب الإيمان، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني، ج/١، ص٨٢، رقم (١٠٠)، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (٩٣٠).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) الأحقاف آية ١٥.
(٤) د. يوسف القرضاوي - الإيمان والحياة - مؤسسة الرسالة ط٤/١٩٧٩م ص١٨٢.
(٥) الروم آية ٢٢.
(٦) المرجع السابق الصفحة نفسها.
(٧) جزء من حديث طويل من حديث ابن عمر قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضًى يوم القيامة ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يثبتها أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كم يفسد الخل العسل)) رواه الطبراني وهو في السلسلة الصحيحة للألباني برقم (٩٠٦) وفي صحيح الجامع الصغير، ج١/برقم(١٧٦ - ٦٩).وقد جاء في سنن الترمذي باب ما جاء في الإمام العادل ج ٣، ص ٦١٧.
(٨) مسند الإمام أحمد، ج٥، رقم الحديث (٦٠٣٦٣) وهو في شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين

الحديث. وقال الرسول ﷺ: «من يسر على معسر – أي معسر لا يشترط أن يكون مسلماً – يسر الله عليه في الدنيا والآخرة» [1].

إن الفارق كبير والبون شاسع بين تعاليم الإسلام وتعاليم النظام العالمي الجديد من حيث أن يريد نشر سياسته وثقافته ككيان لا ينبغي في نظره أن يعارض وأنى له ذلك.

إن الأخوة البشرية في نظر المسلم مرتبة سامية وإقرار برسالة الرسول محمد ﷺ. بل إن القرآن ليعلم المسلم أن يحترم أجناس المخلوقات ويعرف بها كأنها أمم لها كيانات وخصوصيات وإن كانت من الدواب والحشرات والطيور. قال الله سبحانه وتعالى: {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}[2] وقال ﷺ: «لولا أ ن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها» [3].

هذا هو شعور المسلم المؤمن بالإسلام نحو الناس جميعاً، بل ونحو المخلوقات الأخرى وإن كانت أقل منه، وليس شعور الاستعلاء العنصري ولا الرقي الحضاري ولا التعصب الإقليمي ولا الحقد الطبقي ولا الحسد الشخصي إنما هو شعور الحب والإخاء للناس جميعاً[4].

* * * * *

المطلب الثالث:
البعد الثقافي للعولمة

وقبل الخوض في هذا الجانب التُّعرض لمعنى الثقافة في اللغة والاصطلاح ومعرفة أهميتها بالنسبة للشعوب.

تعريف الثقافة من الناحية اللغوية:

البيهقي، ج٤، رقم الحديث (٥١٣٧) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول.

(١) في سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام باب إنظار المعسر رقم (٢٤٠٨) انظر صحيح الترغيب والترهيب، ٦٧، وهو في صحيح الجامع الصغير تحت رقم (٦٥٧٧ - ٢٢٥٢) عن أبي هريرة.

(٢) (الأنعام آية ٣٨).

(٣) سنن الترمذى كتلب الأحكام والفوائد، باب ما جاء في قتل الكلاب رقم (١٤٠٦).

(٤) انظر د. يوسف القرضاوي - الإيمان والحياة - ص١٨٣ مرجع سابق.

ث ق ف (ثَقُفَ) الرجل من باب ظرُف أي صار حاذقاً خفيفاً فهو (ثقف) مثل ضَخُمَ فهو ضخم ومنه (المثاقفة) و(ثَقِفَ) من باب طرِب لغة نبهٌ فهو (ثَقِفٌ) ويقال أيضاً امرأة ثقاف (على وزن سحاب) أي فطنة ومنه قول أم حكيم بنت عبد المطلب لأم جميل بنت حرب عندما حاورتها " إني حصان فما أكلّم وثقاف فما أعلم". وثاقفه فثقفه كنصره، غالبه فغلبه في الحذق. و(الثِّقاف)ما تسوى به الرماح(وتثقيفها)[1]. الثقافة تعني: (التقويم والتشذيب والتهذيب والاعتدال) من ثقفت الرمح إذا قومت اعوجاجه وعدلته.

وتقويم عود أو عصا الرمح ليصبح مستقيماً غير معوج لا نتوء فيه يحتاج إلى كثير من المهارة والجهد حتى نصل به إلى ما نبتغيه.

ومعلوم أن (المهارة) تقوم على (المعرفة والتجربة) وهذا إذا ما أضيف إليهما الجهد المبذول بصدق للوصول إلى الغاية فإن النتيجة هي إبداع وجمال وروعة.. وهذه هي الثقافة في أبسط وأيسر معانيها.

وبهذا المفهوم المبسط يمكن القول: إن المثقف هو ذلك الشخص الذي تعتمل في نفسه كل معاني الخير والجمال اللذين يفيض بهما على من حوله خيراً وجمالاً في سابقة سلوكية وخلقية تنشر الاعتدال النبيل على الناس.

وإذا ما أضيف كلمة (الثقافة) كلمة (الإسلامية) فإنها تصبح ذات معنى أحب وأوسع يكتسب قيمة إيمانية عليا سالكة بالنفس الإنسانية المؤمنة مدارج السمو في سلم الرقي إلى النموذج الأمثل تطهيراً للنفس وتزكية تغدو في عطائها ذات خير وجمال وإبداع وعطاء..

كما استعملت كلمة (الثقافة) عند العرب بمعنى التقويم والتهذيب والحذق والفطنة، وردت عندهم أيضاً بمعنى التمكن والغلبة والظفر ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:{إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً}[2]، وقوله تعالى:{فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ

(١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - مختار الصحاح - مؤسسة علوم القرآن بدمشق - ط / ١٤٠٣هـ باب الثاء، وانظر الفيروز أبادي - العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي - مؤسسة الرسالة ط٣ /١٤١٣هـ باب الفاء فصل الثاء.

(٢) الممتحنة آية ٢٠.

خَلْفَهُمْ} [1].

تعريف الثقافة من الناحية الاصطلاحية:

إن مصطلح الثقافة بحداثة غامض الدلالة في الكتابات والأبحاث المتداولة، وثمة صعوبة باتفاق الباحثين على تعريف محدد ودقيق لمفهوم الثقافة.

ولعل سرد ذلك عائد إلى تعدد المفاهيم ومقترباتها المنهجية، وذلك حسب مجال تخصص كل باحث أو زوايا اهتمامه والعناصر التي يركز عليها، فضلاً عن الاختلاف البيني والحضاري بين الباحثين[2].

وقد أحصى كل من " كروبر " وكلوكهون " ١٦٠ تعريفاً للثقافة عام ١٩٥٢م، ولا يعرف على جهة التحديد كم تعريفاً أضيف إليها منذ ذلك التأريخ إلى اليوم. وهناك من يقول أنها الآن تزيد على مائتي تعريف[3].

وللخروج من إشكاليات كثرة التعاريف فإن الباحث يتبنى مجموعة منها رجاء الوصول إلى المقصود مع الملاحظة أن جميع هذه التعاريف تركز على المنبع الذي تلقاه المرء طوال حياته فيؤثر عليه سلوكاً وأخلاقاً ونمط عيش ونمط حياة.. فللكون تأثير في الثقافة وملاحظاته والعادات والقيم كذلك تأثير كبير والأصل في ذلك الدين فثقافة المرء نابعة من دينه والمؤثرات من حوله كثيرة منها الأسرة والمدرسة والمجتمع ومثل ما يتصل به الإنسان خلال غدوه ورواحه وهي بهذا تبلور شخصية الإنسانية من خلال خلفية عقدية تأريخية متفاعلة مع البيئة والمجتمع والكون ولهذا فقد عرفت: " طريقة الحياة ونمط السلوك، ورؤى العالم السائدة في المجتمع، والصور النمطية واللغة والقيم، ومعايير السلوك والعادات والأعراف وأنماط التنشئة الاجتماعية والسياسية، علاوة على الدين الذي ينظر إليه كقوة أساسية في خلق ثقافة مشتركة بين شعوب لكل منها ثقافتها المتميزة" [4].

---

(١) الأنفال آية ٥٧.

(٢) نبيه عبد القدوس الأنصاري - الثقافة والمثقف في ظل العولمة - مجلة الكلمة العدد (٢٠) ص (١٠٢، ١٠٠).

(٣) هشام علي بن علي - الهوية الثقافية والعولمة - عن جريدة الثورة اليمنية.

(٤) قضايا دولية - العدد (٣٤٠) مرجع سابق، د. مصطفى عدوي - أزمة الثقافة العربية في ظل العولمة.. عن مجلة الكلمة العدد (٢٥) خريف ١٩٩٩م ص١٠١ وانظر د. محمد علي حوات - العرب والعولمة

كما عرفت بأنها: " جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والوجدانية التي تميز مجتمعاً بعينه " [١].

وبأنها: " مجموعة من الصفات الخلقية والقيمة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته"[٢].

وهذا تعريف ربما كان أكثر إحاطة من غيره لقول صاحبه بأنها: " النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير، والعمل، واتجاه السلوك، وكل ما يبنى عليه من تحديدات، أو ابتكارات أو وسائل في حياة الناس مما ينشأ في ظله كل عضو من أعضاء الجماعة، ومما ينحدر إلينا من الماضي فنأخذ به كما هو، أو نطوره في ضوء ظروف حياتنا وخبراتنا "[٣].

وبأنها: " المُركَّب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها، بهويتها الحضارية، وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء "[٤]

وهي المعبر الأصيل عن الأصولية التأريخية لأمة من الأمم.

وهناك من لا يقتصر على الجانب المعرفي والفكري بل تطرق بتعريفه إلى الجانب الوجداني والذي يعني به الفن والجانب الروحي والذي يعني به الدين والجانب العلمي أو السلوكي الذي يقصد به الأخلاق والأديان والجانب المادي أيضاً. وعلى هذا فإن الباحث يميل إلى التعريف التالي للثقافة وهي: " أفكار ومعارف وإدراكات ممزوجة بقيم وعقائديات ووجدانيات تعبر عنها أخلاق وعبادات وآداب وسلوكيات، كما تعبر عنها علوم وآداب وفنون متنوعات وماديات ومعنويات " [٥].

شجون الحاضر وغموض المستقبل - مكتبة مدبولي ط١/٢٠٠٢م ص١٥٧، ١٥٨.

(٤، ٥) مجموعة من الدكاترة عن كتاب الثقافة الإسلامية - مكتبة الإرشاد ط٧/١٩٩٩م ص(٢٠، ١٩) وانظر جمال سلطان / بين الثقافة والعرف عن مجلة البيان المرجع السابق ص١٢٩، وانظر د. محمد عبد الله الشباني - الثقافة والذوبان - مجلة البيان العدد (٧١) ص٢٩.

(١) انظر المصدر السابق.

(٤) د. نايف علي عبيد - العولمة مشاهد وتساؤلات ص٣٤ مرجع سابق.

(٥) د. يوسف القرضاوي - ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق - دار الشروق ط١/ ٢٠٠٠م ص١٤. وانظر د. محمد مقدادي العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢ /

والأمثلة الحياتية في ذلك كثيرة ففي جانب (الأكل) مثلاً: ليس مجرد البلع والمضغ والهضم يعتبر ثقافة بل إن الهيئة والطريقة والاقتداء هو الجانب الثقافي في الأكل. فالذي يأكل مستحسناً ومطبقاً للطريقة الغربية أو الشرقية فتعتبر ثقافته في هذه الحالة غربية أو شرقية، والذي يقتدي ويهتدي بهدي النبي ﷺ فثقافته في الأكل ثقافة إسلامية.

وهكذا فإن كل عادة من العادات التي قد تعمل على سبيل العادة فإنها في الحقيقة تكون نابعة من ثقافة متأثرة بالبيئة والعقيدة والعادات، فتنقلب إلى ثقافة بحسب ما تشبع به صاحبها من قيم ومثل وتربية وبحسب البيئة التي عاش فيها وتأثر بها..

وهكذا يختلف المسلم عن غيره في ثقافته في طعامه وشرابه وملبسه وفي طريقة أكله وإقباله على وجبات لم يكن يعرفها وطريقة تأثيثه لمنزله وطريقة زواجه وطريقة خروجه ونزهته مع أولاده ومعاملته لجيرانه واختلاطه بالناس وحياته الشخصية والأسرية كلها[1].

فطريقة أكله تنبع من دينه وسنة نبيه ﷺ القائل: «**سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك**»[2] إلى غيرها من الآداب، وفي المشي عنوانه قول الله تعالى:{**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً**} [3] وقوله تعالى:{**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ**}[4].

وهكذا في معاملة غيره من المؤمنين:{**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**}[5] وأيضاً قوله ﷺ : «**وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً**».. [6] وقوله ﷺ: «**المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا**

٢٠٠٢م، ص ١١٧.

(١) د. محمد عبد الله الشباني : الثقافة والذوبان عن مجلة البيان العدد (٧١)، ص ٢٩ وانظر القرضاوى المرجع السابق ص١٥،١٣.

(٢) الحديث متفق عليه عن ابن عمر بن أبي سلمة وانظر سنن ابن ماجه الأطعمة باب الأكل باليمين رقم (٣٢٥٨).

(٣) الفرقان آية ٦٣.

(٤) لقمان آية ١٩.

(٥) الحجرات آية ١٠.

(٦) سنن الترمذى، كتاب الزهد، باب من اتقى المحارم (٣٢٢٧)، والحديث بمجموع طرقه صحيح انظر الألباني في السلسلة الصحيحة - المكتب الإسلامي - ط/٤ سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، تحت رقم / ٩٣٠ ص٦٣٧، وهذا بطوله قال ﷺ: " من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلمهن من يعمل بهن.

يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس» [1]. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث..

أهمية الثقافة:

وتكمن أهمية الثقافة لدى شعب من الشعوب، أو أمة من الأمم في تهيئة أساس التفكير والشعور وتحديد المفاهيم الأساسية والتصورات والتفسيرات عن أصل الإنسان وطبيعة العالم ودوره في الحياة وتضع سلم التعميم الذي يلتزمه المجموع، وقيم الناس من خلاله، وعلى ضوئه تقيّم السلوكيات والمواقف، ويفرّق بين الحق والباطل وبين الخير والشر، ويحدد ما هو طبيعي وما هو غير طبيعي، ومنطقي وغير منطقي، وعادي وشاق وأخلاقي وغير أخلاقي وجميل وقبيح فالثقافة تعطي معنى للحياة وهدفاً للوجود، وبناء الشعور لدى الأفراد بالانتماء إلى الأمة وأن أنماط الحياة اليوم سواء في الغرب أو الشرق من سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية وثقافية وغيرها.. إنما هي وليدة الثقافة الذاتية لأمة من الأمم ولشعب من الشعوب.

إن ما يميز أمة عن أخرى وشعب عن آخر ومجتمع عن غيره ليس هو اختلاف الألوان والألسن أو اختلاف رقعة الأرض، ولكن التمييز الأوسع والأعم يكون باختلاف الثقافات بين هذه الأمم أو الشعوب أو المجتمعات [2].

وتكمن أهمية الثقافة الإسلامية أيضاً في تهذيب الإنسان المسلم وصقله وتكوينه على أصول عقيدته وفكره الإسلامي وتنشئته على تلك المبادئ بالمفهوم الشامل حتى تصبح أفكاره وسلوكياته وعاداته وتقاليده نابعة من الإسلام بصورته الشاملة. كما تكمن أهمية الثقافة في بلورة شخصية الإنسان من خلال تربيته العقدية في المحافظة والتجديد، المحافظة على عناصر الثقافة

فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله. فأخذ بيدي فعد خمساً فقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب ".

(١) هو عند الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن سعد، وعند الدار قطني في الأفراد، والضياء المقدسي في المختارة، وعموماً الحديث حسن بمجموع طرقه، انظر الألباني في السلسلة الصحيحة الجزء الأول ص٤٢٦، ٧١٢.

(٢) فتحي يكن - ورامز طنبور - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص(٣٤، ٣٥) مرجع سابق.

في الأمة أو في المجتمع العامة منها والخاصة، والتجديد في إدخال عناصر متغيرة نافعة للمجتمع أو للأمة ومطورة لها ومتلائمة مع العناصر العامة[1].

وإذا كانت الثقافة هي المعبرة عن هوية الأمة وفلسفتها ونظرتها الكلية إلى الوجود، وإلى المعرفة وإلى القيم، وبعبارة أخرى: إلى الله وإلى الإنسان والكون والحياة، أو إلى المبدأ وإلى المصير والغاية والرسالة، فإن لكل أمة من الأمم ولكل مجتمع من المجتمعات البشرية ثقافة تحدد الإطار الذي يحكم سلوك أفرادها ويوضح معالم فكرها الذي بدوره يحدد أنماط السلوك الاجتماعي لأفراد هذه الأمة أو تلك، فتتميز بها عن الأمم الأخرى[2].

ولهذا نجد من الثقافات ما تتجه إلى الحس والمادة، ومنها ما يتجه إلى العقل ومنها ما يتجه إلى الروح ومنها ما يتجه إلى الجمع بين الروح والعقل، ومنها ما يعترف بالله رباً وخالقاً ولا يعترف به إلهاً معبودا، ومنها ما يعترف به على العكس من ذلك ومنها ما يجمع بين هذا وذاك، ومنها ما لا يعترف لله بشيء من ذلك وإنما يؤله نفسه أو شيئاً من خلق الله[3].

وأما ثقافة الأمة الإسلامية فهي وسط متميز بين جميع الثقافات، قال تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً}[4] إنها ثقافة ممزوجة بروح الإسلام والإيمان إنها ثقافة ربانية أخلاقية لقوله ﷺ: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "[5] وهي إنسانية: فهي تحترم الإنسان وترعى فطرته وتهتم بكرامة الإنسان وحقوقه، قال تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}[6].

وعالمية: حيث يقول تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

(١) مجموعة من الدكاترة عن كتاب الثقافة الإسلامية مكتبة الإرشاد ط٧/ ١٩٩٩م ص(٢١، ٢٠). وهذا الكلام يرجع للأستاذ الدكتور على هود با عباد.
(٢) د. محمد عبد الله الشباني - الثقافة والذوبان - عن مجلة البيان العدد (٧١) ١٩٩٤/١/١م ص٢٨.
(٣) انظر د. يوسف القرضاوي - ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق - مرجع سابق ص١٩.
(٤) البقرة آية ١٤٣.
(٥) في مسند الإمام أحمد كتاب باقي سند المكثرين باب باقي السند السابق رقم (٨٥٩٥) وانظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني رقم (٢٣٤٩).
(٦) الإسراء آية ٧٠.

النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [1].

وهي تتسع للجميع على اختلاف الملل والنحل والأعراف ولا يضيق بها دين أو عرق أو لون، وتحترم التنويع وتحارب التضاد والشقاق، إنها ثقافة توازن بين العقل والوحي، والمادة والروح، والحقوق والواجبات، وبين الفردية والجماعية، وبين الإلهام والالتزام، وبين النص والاجتهاد، وبين المثال والواقع المستمدة من وسطية الإسلام ووسطية أمته كما مر آنفاً.

إنها ثقافة تكاملية فاللغة تحترم الدين والدين يغذي الثقافة الإسلامية والثقافة الإسلامية تغذي الثقافة الإنسانية، وهي لا تمتنع أن تأخذ من غيرها ما دام هذا الأخذ نافعاً صالحاً في الحكمة والرشد وفي الأثر.. " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها.." [2] وقد أخذ الرسول ﷺ الحكمة من بعض المشركين وتمثل في تعليم أسارى بدر لأولاد المسلمين الكتابة حتى يحذقوا وبذلك يفدون أنفسهم من الأسر، وليس هذا بعجيب من دين كان أول ما نزل من كتابه الكريم كلمة " اقرأ " واستفاضت فيه نصوص السنة في الترغيب في العلم وبيان منزلة العلماء [3].

وإجمالاً فإن الثقافة الإسلامية تتميز بالاعتزاز بالذات من حيث أنها ربانية المصدر إنسانية الغاية عالمية الجهة أخلاقية الصبغة.. فهي لهذا تذوب فيها الثقافات ولا تذوب

---

(١) سبأ آية ٢٨.

(٢) سنن الترمذى، كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقهعلى العبادة رقم (٢٦١١) وضعفه الألبانى في ضعيف سنن الترمذى برقم(٥٠٦-٢٨٤٠) وقال ضعيف جداً لأن فيه إبراهيم ابن المخزومى، طباعة المكتب الإسلامى ط١ / ١٤١١ - ١٩٩١ م ص ٣٢٠، ولكن معناه لا يتنافى مع روح الدين الإسلامى الذى يدعو إلى طلب العلم.

(٣) د. يوسف القرضاوي المرجع السابق ص (١٩ حتى صفحة ٣١) جاء ذلك من حديث ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة. انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر الجزء الثالث رقم (٢٢١٦) ص٢٠ وقال إسناده صحيح دار الحديث القاهرة ط١/ ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، ولكن الألباني يضعفه حيث يقول لم يجده عند غير الإمام أحمد وكذلك الشوكاني يضعفه من حيث الإسناد في الملتقى للجد ابن تيمية، وانظر د. علي محمد محمد الصلابي - في أصح الكلام في سيرة خير الأنام - عرض وقائع وتحليل أحداث السيرة النبوية (دروس وعبر) الجزء الثاني ص٧٢٢، ٧١٤ مكتبة الصحابة - الإمارات الشارقة ط١/١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، وانظر د. إبراهيم العلى في صحيح السيرة النبوية طبعة مزيدة ومنقحة بتقديم د. عمر سليمان الأشقر ود. همام سعيد دار النفاس الأردن ط٣/١٤١٨هـ ١٩٩٨م ص٢٦١.

هي. وتخرج منتصرة مهما امتزجت بغيرها من الثقافات ظافرة بما فيها من خصائص وصفات وميزات ويمثل القرآن الكريم بالنسبة لها العمود الفقري فهو النبع الذي تستقي منه الأمة، وعلى توجيهاته وأوامره يقوم بناؤها الثقافي [1].

البعد الثقافي :

وبعد تعريف الثقافة لغة واصطلاحا، ومعرفة أهميتها عند كل أمة على حدة فإن العولمة ترنو في بعدها الثقافي إلى محاولة استخدام الثقافة كأداة فاعلة لفرض سيطرة وهيمنة الدول القوية على الأمم والشعوب الأخرى وذلك من خلال العمل على تقويض قانونية تعدد الثقافات في العالم لصالح نموذج ثقافي معين، وهو ثقافة الأقوى والتي تحمل قيمها وعاداتها وتقاليدها وأنماط حياتها المختلفة بحيث يصبح نمط المعيشة المنبثق من ذلك النموذج الثقافي المهيمن قاسماً مشتركاً بين جميع البشر ونمطاً معمماً على الجميع، وهذا النمط يضع حداً لكل أنواع السيادة بدءاً من ميلاد الشركات متعددة الجنسيات حتى الوصول إلى نظام التجارة الحرة الذي أقر دولياً ثم ظهر أخيراً بوضع منظمة التجارة العالمية والتي أدخلت (الثقافة) ضمن منتوجاتها القابلة للتداول والقابلة للتحرر من القيود الجمركية. وحتى أصبحت (الثقافة) مجرد سلعة من السلع ينطبق عليها من الأحكام والإجراءات ما ينطبق على سواها من السلع المادية، غير أن الأهم هو الإقرار بأن مجال المنافسة في تسويق هذه السلعة (الثقافية) بات ضيقاً للغاية ولا يتسع إلا للقوى التي تمتلك قدرة ثقافية أكبر، وتتمثل هذه الثقافة في: -

١- سرعة انتقال المعلومات بفعل تطور وسائل الاتصال حيث أصبحت المعلومات تنتشر بكميات هائلة وبضخ أسرع. ففي أي بقعة من الأرض بإمكان أي منا وبمجرد كبسة زر إرسال أو استقبال كميات هائلة من المعلومات المختلفة وبكلفة زهيدة. كل ذلك يتم أيضاً في غياب بل وعدم قدرة الدولة على الرقابة أو المنع بالانتقال من ثقافة طباعة الكتاب والصحافة المكتوبة إلى ثقافة التلفاز والإنترنت والفضائيات..

٢- تنقل السكان من مكان لآخر بتطور وسائل النقل. وإن كان هذا محدوداً إلا أنه عامل مهم، حتى ظهر ما يسمى بعولمة السكان فهناك الآن (١٧٠) مليون إنسان يعيشون

(١) د. محمد عبد الله الشباني - الثقافة والذوبان - المرجع السابق ص٢٨.

في دول ليست لهم بأوطان، ومن بينهم أكثر من (٥٠) مليون لاجئ، وهناك(٦٠٠) مليون سائح يعبرون سنوياً حدود بلدانهم. (١)

٣ - خضوع الثقافة اليوم تخضع إلى المعايير السائدة في سوق البضائع حيث الإعلانات التجارية التي باتت تطغى على كل وسائل الإعلام وترسخ أنماط استهلاك جديدة، توجهها مصالح الشركات المنتجة في الربح المجرد من أي معنى إنساني وهو يستخدم مداخل غير أخلاقية وغير عقلانية أو علمية في حصد المزيد من المكاسب للغرب الظافر حيث يتم " تنميط العالم " من خلال تدمير " التنوع الثقافي " العالمي بنية تسهيل السيطرة وإزالة كل الحواجز التي تقف في سبيل هيمنة الشركات الكبرى على توجهات الناس وسلوكياتهم من خلال وسائل شهوانية استهلاكية في المقام الأول في " هوليود " وأشباهها فتحت كل غرف نوم الغرب وكل أبواب مواخيره وكل أبواب مبانله ولهوه، وسوقت كل الرموز والصور التي يوحيها ذلك باعتباره جزءاً من مجهود ضخم لصياغة كونية جديدة (٢).

٤ - يكاد يتفق الباحثون اليوم على أن العولمة الثقافية إن هي إلا تعميم للثقافة الغربية وبالأخص الأمريكية وهو مدٌّ ثقافي باتجاه واحد يسعى لجعل كل البشر على صورة واحدة للنموذج الغربي - الأمريكي - بالتحديد، أو متجارية معه وحالمة به.

إن بروز العولمة الثقافية الحالية ليس وليد اليوم، بل هو حصيلة فترات طويلة من الاستعمار الذي دأب لربط الدول به لغوياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وذلك عبر قوانين وأنظمة وضعتها الدول المستعمرة واستمرت عليها الدول المستقلة لاحقاً، واستمدت مجالسها الوطنية تشريعاتها من القوانين الفرنسية والبريطانية الدول

(١) د. ماجد محمد شدود - العولمة مفهومها، مظاهرها، وسبل التعامل معها - ط١/١٩٩٩م ص١٣٠ وانظر العرب والعولمة ص٣١٧
البصائر العدد (٢٥) السنة ١٢ ربيع ١٤٢٢هـ ص١١٦، وانظر أ. د. سالم عبد الجبار عبد الرحمن - طوق العولمة - عن مجلة المنتدى اليمنية العدد(٦٥)، وهشام علي بن علي - الهوية الثقافية والعولمة - عن جريدة الثورة اليمنية ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى الثقافي الثاني.

(٢) أ. د. سالم - طوق العولمة -، عبد الكريم بكار - نحن والعولمة - عن مجلة المعرفة الصادرة عن وزارة المعارف المملكة العربية السعودية العدد (٤٨) سنة ١٤٢٠هـ ص٩٠، د. رسلان خضور، د. سمير إبراهيم حسن - مستقبل العولمة - قضايا راهنة ص٨ مرجع سابق.

المستعمرة سابقاً. (١)

وتسعى العولمة الثقافية لحمل الشعوب والأمم للخضوع لثقافة واحدة وغرس قيمها وقواعدها في نظم الحياة المختلفة للناس، ولتحقيق ذلك لا بد من تحطيم وتشويه الثقافات الأخرى، وهذا يتطلب مجهوداً كبيراً، وطاقات هائلة، وبرامج وخطط واتفاقيات لا يقوى عليها إلا من يملك القوة والمال والتكنولوجيا، وهذا ما يمتلكه العالم الغربي في هذه المرحلة التاريخية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية (٢).

إن تعميم هذا النموذج الثقافي على المجتمعات الأخرى يرجع إلى التأثير على المفاهيم الحضارية والقيم الثقافية والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية واقتصادية وثقافية وتقنية متعددة من خلال استمرارية الاختراق الثقافي واستعمار العقول واحتواء الخبرات وربط المثقفين بدائرة محدودة ينشدون إليها بصورة بعيدة عن إعمال العقل التفاعلي للذات وإبقاؤه في سياق الأداة الوظيفية التيسيرية البحتة(٣).

إن هذا النمط الاحتوائي يعتبر شبه إجماع لدى الإدارة الأمريكية ووظفت لأجله المؤسسات المالية والثقافية والإعلامية والخبرات وأجهزة المخابرات المركزية.

فهذا الصحفي الأمريكي " جيمس روستون " يجزم بأن " الصحفيين والكتاب ورؤساء تحرير الصحف الجامعية كثير منهم ضعيف ورخو أمام الإفساد المالي وبالتالي فإن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية لا تتردد في استمالتهم عندما تستطيع أن تفعل ذلك "(٤).

---

(١) فتحي يكن ورامز طنبور - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص٣٦، ٣٥ مرجع سابق، وانظر د. لؤي هاني - العولمة والمشروع الحضاري الإسلامي الفرص والتحديات - عن مجلة الكلمة العدد (٢٨) / ٢٠٠٠م ص٤٤.

(٢) فتحي يكن، ورامز طنبور، ص٤١، وانظر د. محمد مقدادي: العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، ص١٣٨، مرجع سابق.

(٣) أمين هويدى - اتفاقية غزة أريحا - مجلة العربي الكويتية العدد (٤٢٥) ١٩٩٤/ص٢٨.

(٤) مقتطف من النص الكامل لمعاهدة السلام الأردنية - الإسرائيلية - جريدة السفير العدد ٦٩١٢-١٩٩٤/١٠/٢٠م ص١٢، على حرب أوهام النخبة أو نقد المثقف - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - ١٩٩٦م عن عبد الله أحمد راشد في العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية - دار الحوار للنشر والتوزيع ط١/ ١٩٩٩م ص١٥، ١٦.

بل وعلى حد قول الكاتب الأمريكي" جاسون أبستاين": لا تقتصر المسألة على شراء كتّاب أو جامعيين، بل إنها ترمي إلى إقامة نظام للقيم شكلي ومصطنع يحصل بواسطته الجامعيون على الترقيات، ويرشى محررو المجلات ويعطي العلماء مساعدات مالية، وتنشر مؤلفاتهم لا لقيمتها الذاتية التي قد تكون عالية أحياناً،وإنما بسبب ولائها السياسي..."[1].

ومع ذلك فإن العولمة الثقافية تواجه صراعاً محكماً من خلال ثقافات أخرى مستندة إلى إرث تأريخي واستعماري قديم تمثل بفرنسا واليابان اللتين مهدتا لبروز العولمة الثقافية في العصر الراهن من خلال مؤشرات دلالية حملتها واحتضنتها العوامل الاقتصادية والمكتشفات العلمية والتقنية في تقاسم وظيفي جديد للمنافع والمصالح الحيوية لثنائية[2] العولمة الثقافية.

إن البعد الثقافي للعولمة يهدف إلى نشر ثقافة الأقوى وتعميمها وذلك من خلال تفكيك العلاقة والارتباط بين الثقافة المستهدفة والدولة أو الإطار الجغرافي التي نشأت فيها وتطورت فيها وصولاً إلى نفي الطابع والرافد المحليين للثقافة الأصلية لصالح الطابع العالمي والرائد العالمي لهذه الثقافة الغازية.

إنه يستهدف إبعاد الناس عن واقعهم الاجتماعي وتسطيح الوعي لديهم، واختراق الهوية الثقافية للأمم والشعوب وتعميم القيم الاستهلاكية[3].

ولأن تصدير العولمة من طرف الجانب الأقوى والذي يمتلك وسائل اتصال قادرة على إيصال هذه الثقافة إلى جميع أنحاء العالم، فإن التبادل الثقافي على فرض وجوده، هو تبادل غير متكافئ يفتقد في مضمونه إلى التفاعل الإيجابي والاعتماد المتبادل الإيجابي ليتحول إلى غزو ثقافي هدفه ترسيخ مظاهر العولمة من خلال استكمال

---

(١) انظر :عبد الله أحمد أبو راشد : العولمة في النظام العالمى والشرق أوسطية ص١٧ مرجع سابق.

(٢) المقصود بثنائيات العولمة الثقافية احتدام الصراع عولمة الثقافة الغربية (الانكلوسكسونية) وعولمة الثقافة الفرنسية (الفرانكوفونية).

(٣) د. ماجد شدود - العولمة مفهومها مظاهرها وسبل التعامل معها - مرجع سابق ص ١٣١، وانظر د. يوسف سلامة - الثقافة والسلطة فى ظل العولمة، د. محمد محزون - العولمة بين منظورين - عن البيان العدد ١٤٥ ص ١٢٦، د. برهان غليون - الوطن العربى أمام تحديات القرن الـ ٢١ تحديات كبيرة وهمم صغيرة _ عن المستقبل العربى (٢٣٢) ٦ /١٩٩٨م ص ١٥.

السيطرة الاقتصادية والمالية بالسيطرة الثقافية للوصول إلى تغييب أية مرتكزات لوعي الفرد الثقافي وتحديد الوسائل الفاعلة لمواجهته [١].

إنها عملية إقصاء وتغييب متعمد لثقافات الأمم والشعوب الأخرى وتقوية المرتكزات اللازمة لسيطرة الدول القوية وترسيخ هيمنتها على العالم. لقد قامت الولايات المتحدة بوضع ثقلها كله في معركة تحطيم الحواجز لتصبح الاتصالات قادرة على الانتقال دون عوائق تذكر عبر العالم كله كالريح فوق صفحة المحيطات، ومن أجل ذلك انعقدت المؤتمرات الدولية المتتابعة (جنيف ١٩٩٢م - بيونس أيرس ١٩٩٤م - بروكسل ١٩٩٥م - جوهانسبرج ١٩٩٦م) لتنجح وبامتياز الولايات المتحدة الأمريكية في تسويق فكرتها حول: " مجتمع المعلومات العالمي " والضغط لفتح حدود أكبر عدد ممكن من الدول أمام التدفق الحر للمعلومات[٢].

ولعل هذا ما حدا بالباحث الأكاديمي المعروف (نعوم تشومسكي) أن يقول: " إن العولمة الثقافية ليست سوى نقلة نوعية في تأريخ الإعلام تعززه سيطرة المركز الأمريكي على الأطراف أي على العالم كله "[٣].

إن الولايات المتحدة تعتبر أول منتج للتقنية الحديثة ومصدر إلى الأطراف خاصة دول العالم الثالث بجانبه كافة الدول الإسلامية. وهذا بالطبع له دوره في نشر اللغة الإنجليزية خاصة من بين كثير من اللغات. ومن هنا يأتي التوجس الشديد لدى بعض الدول المتقدمة كفرنسا وكندا من المخاطر الناجمة عن الهيمنة الأمريكية على الثقافة والإعلام تحت ستار العولمة، إذ إن وسائل الإعلام الأمريكية تسيطر في الواقع على ٦٥٪ من مجمل المواد والمنتجات الإعلامية والإعلانية والثقافية الترفيهية، بل إن فرنسا تقاوم سيطرة اللغة الإنجليزية على شبكة الإنترنت، وذلك لأن ٩٥٪ من حجم تداول المعلومات والاتصالات على الإنترنت باللغة الإنجليزية في حين أن ٢٪ فقط باللغة

---

(١) د. ماجد شدود - العولمة مفهومها.. ص١٣٢ مرجع سابق، وانظر عبد الاله بلقزيز - العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة - عن العرب والعولمة ص٣١٧.

(٢) د. محمد المحزون - العولمة بين منظورين - عن مجلة البيان العدد (١٤٥) ص١٢٥.

(٣) نفس المرجع السابق نفس الصفحة، وانظر د. محمد مقدادي: العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، ص ١١٩، ١٢١، مرجع سابق.

الفرنسية [1].

فإذا كانت فرنسا على وضعها الحالي في المنظومة الحضارية وهي من أوائل الدول المتقدمة وقفت هذا الموقف على الرغم من تقاربهم في الثقافة والدين، فمن باب أولى أن تقف نفس الموقف أو أكثر حزماً من الدول الإسلامية التي هي أصلاً في ذيل قافلة المنظومة الحضارية وإنه يراد لها التبعية والانسلاخ من ثقافتها الإسلامية بل من دينها على الأصح. وإن الواجب الشرعي على هذه الدول أن لا تغفل عما تقوم به مؤسسات السيطرة الإعلامية وغيرها وألا تقف مكتوفة الأيدي وأن تقاوم هذا الغزو الثقافي الإعلامي الاستهلاكي التسطيحي المتستر تحت غطاء العولمة.

ومحاولة من قائدة ورائدة العولمة الثقافية (الولايات المتحدة الأمريكية) التخفيف من حدة الهجمة الشرسة ومحاولة إخفاء الأبعاد الاختراقية وسياسية السيطرة فإنها تمعن في استغباء الآخرين وتمييع الممانعة المشروعة التي تتمثل في الشعوب المستهلكة الذين لا تسعفهم قدراتهم وتقنياتهم من الممانعة بالقدر الكافي لكبح جماح هذه الهجمة الضروس الكاسحة وذلك بإدخال الثقافة ضمن السلع الإنتاجية ليجري عليها ما يجري على ما سواها من السلع بهذا القرار الذي فرض فرضاً، فاستطاعت أن تصدر ما يحقق لها أرباحاً هائلة إلى المجتمعات الاستهلاكية وبالذات الإسلامية وانتهجت تصديراً ثقافياً من نوع خاص!! فهي لم تصدر ثقافة الغرب أو ثقافة الولايات المتحدة بالمعنى النخبوي للثقافة، بل صدرت ثقافة استهلاكية موجهة للتسويق، ثقافة انحطاطية سوقية في إطار المشروع الهوليودي لتحريك سوق التجارة والاستثمار تكرس من خلالها وعياً تسطيحياً لدى الشعوب المستهلكة وخاصة الإسلامية. ثقافة لا تعدم رؤية حضارية للإنسان، بل هي سلعة استهلاكية تجعل الإنسان يعيش هوس النجومية والاستهلاك اليومي لثقافة الشارع الأمريكي.

إنها تخفي مظهرها المنحط والمتخلف وراء أحدث وسائل التقنية، تسوغ من خلالها

---

(١) وانظر سليمان بن ناصر الخراشي: العولمة، دار بلنسية، ط١ / ١٤٢٠هـ، ص ٣٢، مرجع سابق، وانظر محمد علي حوات: العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل، ص ١٧٦، مرجع سابق، وانظر أنور عشقي: الشياطين تختبي في تفاصيل ملف العولمة، عن مجلة المعرفة السعودية، العدد (٤٨) ربيع أول ١٤١٠هـ، ص٨٤، ٨٥.

الوسائل ثقافة استهلاكية هوليودية أكثر مما هي ثقافة أمريكية حقيقية.

لذا وجب على المعنيين على مختلف الأصعدة في الدول الإسلامية أخذ الحيطة والحذر وطرح البديل المناسب والإفادة من التقنيات الحديثة وجلب النافع المفيد من الآخرين واستيراد ما فيه الصالح العام، استيراد ثقافة العلم والحضارة التي تجني الشعوب منها الثمرة المفيدة من هذه الحضارة ومن هذه التقنيات ومن هذه الثقافة.

مكمن الخطر فى العولمة الثقافية :

إن مكمن الخطر في العولمة الثقافية هو جعل الثقافة سلعة استهلاكية تحظى بجاهزية خاصة ومغرية خاصة لشباب الأمة الإسلامية - شأنها شأن " المعلبات " - إنها بهذا الأسلوب محاولة لمزيد من تكريس التقسيم الإمبريالي(*) للعمل حيث بمقتضاه تستمر الولايات المتحدة الأمريكية في إنتاج أشكال الثقافة اليومية من أفكار وأذواق وتصورات في حين تظل المجتمعات الأقرب فاغرة أفواهها لاستهلاك هذا المنتوج.

تسعى أمريكا لأن تجعل من هذه الثقافة آلية ردع لكل خيار نهضوي ولتمييع كل محاولة لتفعيل ثقافي حقيقي في المجتمعات المختلفة، وأصبحت تراهن على فهم هوليودي للحضارات يقوم على الصراع والتحطيم والإلغاء.

إن هوليود يصنع عالماً ثقافياً أمريكياً متعصباً للإقصاء والاحتكار وبالتالي فليس في حسبانه مجال لتصاهر أو لتحاور أو لتثاقف الحضارات ولكن في حسبانه تصادم الحضارات.. وانتصار الحضارة الأمريكية وبهذا يتم لهم الترويج لنهاية التأريخ(٢)ولغيرها من المقولات التي تنطلي على السذج البسطاء.

تبدو خطورة العولمة الثقافية أكثر وضوحاً عندما نعلم أنها تمهد الطريق أمام تيارات العولمة الأخرى عبر الترويج للنمط الاستهلاكي، وتفتيت القيم المحلية السائدة،

(*) الإمبرالية: هي الرأسمالية الاحتكارية حيث تسيطر التجمعات الرأسمالية الضخمة على الإنتاج وتصريف أهم السلع.

٢) انظر إدريس هاني كيف يقرأ المثقفون العرب العولمة - عن مجلة الكلمة العدد ١٩ السنة الخامسة ربيع ١٩٩٨م ص٦٥، ٦٦، ٦٧، وانظر العرب والعولمة ص٣١٧، وانظر د. برهان غليون - ثقافة العولمة - دار الفكر دمشق ط١/١٩٩٩ ص٤٠، وما بعدها، وانظر بول سالم - الولايات المتحدة والعولمة معالم الهيمنة في مطلع القرن الـ٢١ عن العرب والعولمة ص٢٢٢، وانظر إدريس هاني: الثقافة الإسلامية والعولمة، مجلة الكلمة، العدد (٢٢) السنة السادسة شتاء ١٩٩٩م /١٤٢٠هـ، ص ١٣٧، ١٣٨.

وردع أو تثبيط أي محاولة للنهوض الاقتصادي، أو التفرد الثقافي ومن ثم فهي تروج للنظام الرأسمالي والقيم الليبرالية الغربية على مستوى الكون، مما يفسح المجال لهيمنة ثقافية ولأشكال أخرى من الهيمنة.

ويمكن أيضاً ملاحظة هذه الهيمنة بجلاء في انتشار النعوت والمصطلحات [1] التي تطلقها الدوائر السياسية والصحفية الغربية على الأشخاص والجماعات والأحداث من أمثلة ذلك التمويه أو تحسين القبيح، واستخدام عبارات ملطفة وغير مباشرة لوصف شيء بغيض ومنفر مثل وصف الإبادة الجماعية للمسلمين في البوسنة والهرسك وكوسوفا وفلسطين حالياً بـ: التطهير العرقي، وغزو لبنان عام ١٩٨٢م بـ: سلام الجليل، وتسمية حدوث إصابات مدنية في الحروب: بالضرر المصاحب. والهدف هو جعل الحقيقة السيئة مقبولة لغوياً كما يطلق المركز الغربي أوصافاً تخدم مصالحه أو مصالح حلفائه كإطلاق اسم يوم الغفران على حرب رمضان سنة ١٩٧٣م واسم جبل المعبد على المسجد الأقصى، ووصف القدس الشرقية بأنها متنازع عليها بدلاً من محتلة مثل الحال الذي عليه كشمير بين الهند البوذية وباكستان المسلمة في أنها محتلة من قبل الهنود، ووصف المقاتلين في الشيشان (المجاهدين) بأنهم إرهابيون أو جيش تحرير كوسوفا بالانفصاليين.

هذه النعوت وغيرها ليست وصفيه مجردة، بل أيدلوجيات صادرة عن رؤية حضارية، وموقف ثقافي معين فالشيشانيون (إرهابيون) لأن المركز الغربي يصفهم بهذا الوصف و(الإبادة الجماعية) لمسلمي البوسنة وفلسطين بـ (حرب أهلية) يعني عدم التحرك أو اتخاذ موقف إيجابي ورفض التدخل بين أطراف متنازعة أو جماعات يقتل بعضها بعضاً منذ مئات السنين.

أما وصف الأمر بأنه إبادة أو اعتداء فيقتضي ذلك حسب القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة التدخل لردع المعتدي وإنقاذ الضحية.

ووصف شعب من الشعوب المعتدى عليها بالانفصالية يعني ضمناً رفض مطالبه بالاستقلال. فكيف ينفصل الطفل عن أمه، أو كيف ينفصل العضو عن الجسد. والأمثلة

(١) انظر أحمد بن راشد بن سعيد - استراتيجية التعامل مع ثقافة العولمة وإعلامها - عن المجتمع العدد (١٤٦٠) ٢٠٠١/٧/٢١م ص٣١، ٣٠.

ما زالت حية وبعضها لم يمض عليها عقد من الزمان وبعضها لم تمض عليها بضع سنين مثل كوسوفا - إقليم تيمور الشرقية في إندونسيا - أليس هذا كيل بمكيالين ورؤية بنظارتين!!

إن هذا شكلٌ من أشكال الهيمنة أو السيطرة التي فرضتها عولمة الثقافة والاتصال والنفوذ السياسي لدول المركز الغربي وبالأخص أمريكا.

وإن أخطر أنواع العولمة ذلك الذي يدخل في صياغة الفكر والسلوك الإنساني وإنه يظهر بوضوح في العولمة الثقافية حينما نستخدم لأجل هذا الغرض وسائل عدة وهي وسائل الإعلام من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز وغيرها.. ولأجل هذا كانت معظم هواجس المفكرين والمربين تتعلق بخوفهم من تأثير العولمة على المكونات الثقافية للشعوب فهذا وزير الخارجية الكندي يقول: - " لأنه كان الاحتكار أمراً سيئاً في الصناعات الاستهلاكية فإنه أسوأ منه إلى أقصى درجة في صناعة الثقافة، حيث لا يقتصر الأمر على تثبيت الأشعار وإنما تثبيت الأفكار أيضاً " [1] إنها ثقافة الصورة، ثقافة لها من القدرة والتأثير مثلما هو الحال في العولمة الاقتصادية التي استطاعت تحطيم الحواجز الجغرافية الجمركية، وهكذا الحال بالنسبة لثقافة الصورة حيث استطاعت تحطيم الحواجز اللغوية بين المجتمعات الإنسانية نتيجة تطور الثقافة مما ساعد على انتشار ثقافة الصورة خارج الدول المصدرة، مما أدى إلى تشكل إمبراطوريات إعلامية مهمتها تصدير ثقافة الصورة بالنظام السمعي البصري ومما شجع على قبوله هو تراجع معدلات القراءة، وهنا يكمن الخطر حين يحل التلفاز محل الأسرة [2] في التربية، وحين تحل الفضائيات محل البيت والمدرسة في تغذية الفكر بما لا ينفع في صياغة الفكر والسلوك.

إن العولمة الثقافية بلهجة واضحة هي: محاولة نقل ثقافة الغرب وبالتحديد الثقافة الأمريكية إلى معظم شعوب ودول العالم، إنها بتحديد أكثر ما يعبر عنه بعض المثقفين

---

(١) د. ناصر الأحمد - العولمة محاضرة في كاسيت مسجل ضمن تسجيلات القوى الإسلامية الرياض سنة... رقم... اقتباس وتصرف في الفقرة.

(٢) عبد الجليل كاظم الوالي - جدلية العولمة بين الاختيار والرفض - عن المستقبل العربي (٢٧٥) ٢٠٠٢/١ ص٦٤، وانظر محمد عوض تعقيب على د. بلقزيز عن العرب والعولمة ص٣٢٦، وما بعدها.

بأمركة العالم[1].

عوامل قبول المجتمعات لثقافة العولمة:

ويرى الباحث أن سبب قبول الناس لهذه الثقافة الدخيلة عليهم فإنهم لا يبدأون مباشرة بتغيير المناهج ونمط التفكير، ولكنهم يأتون من أبواب لا تخطر على بال كما مر آنفاً منها: -

١- تغيير نمط المجتمع في تناول طعامه وشرابه، وإقباله على وجبات لم يكن يعرفها قط.

٢- طريقة تأثيثه لمنزله وسكنه.

٣- طريقة خروجه ونزهته مع أولاده إلى غيرها من الطرق فلا تكاد تمر بضع سنين حتى تأخذ المجتمعات الأخرى هذه الثقافة وتتقبلها كشيء حضاري ودليل على الرقي من حيث لا يشعر.

فإذا ما جاءت المناهج وجاءت الأفكار، كان المجتمع برمته مهيئاً لقبول كل شيء.

إن انتشار مطاعم الوجبات السريعة في طول البلاد وعرضها وخاصة بلاد المسلمين ليس ذلك من قبيل الصدفة أو الطفرة، إنها تسير ضمن مخطط بعيد المدى وهي الآن حقيقة جلية واضحة يعاني منها الغرب نفسه أيما عناء.

أسباب معارضة ثقافة العولمة:

وإن معارضي العولمة الثقافية يبدون أسباباً عدة منها أن الثقافة التي يراد لها أن تكون عالمية متعارضة مع الهوية القومية وتسعى للقضاء على التنوع الثقافي وإحلال الثقافة الغربية أو بلغة أصرح الثقافة الأمريكية محل الثقافات الموجودة.

وإذا كانت هذه المعارضة وعدم الرضى يصدر من دولٍ غربية كفرنسا وكندا على سبيل المثال مع أنهم يتفقون في الدين إلا أنهم يأبون التبعية الثقافية لغير جنسهم فإنه يتحتم على الدول الإسلامية أن تكون في موقفها أشد وأوضح وأكثر إباءً، لا سيما وأن

(١) انظر عبد الإله بلفزيز: العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، بحث مقدم للندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بحث العرب والعولمة، ص (٣١٩).

للثقافة الإسلامية كما مر سلفاً ميزات تفوق كل ثقافة بل ولا تقبل الذوبان في الثقافات الأخرى وهي تعلو وتسمو بمنهجها على كل الثقافات سواء كانت ثقافات مستمدة من ديانات قديمة أو ثقافات ليس لها نبع ديني وهذا أوضح في البيان والتنافر والتضاد.

مظاهر العولمة الثقافية :

ولعل أبرز مظاهر العولمة الثقافية المنحطة تتضح من خلال تعميم أو توحيد الاتجاهات والسلوكيات حيث يراد لها أن تشمل سكان الكوكب وإن العمل لهذا البرنامج ماضٍ لا يلوي على شيء وقد جنّد لهذا الغرض مؤسسات إعلامية ذات ثقافة عالية ومؤسسات مالية تدعمها دول كبرى وشركات عملاقة وإنها لحملة محمومة لتهيئة الرأي العام نفسياً وثقافياً للعولمة، وتتجلى في انتشار سراويل الجنز وأزياء الموديلات العالمية، ومطاعم الوجبات السريعة (الأمريكية)، ومشروباتها الغازية التي يعتبر افتتاح محلاتها ومصانعها تمهيداً للغزو الأمريكي وشعاراً له.

بالإضافة إلى العادات المتعلقة بتناول الطعام والعادات الاجتماعية الثقافية، وتصفيفات الشعر الخاصة، وحتى الجرائم المتصلة بالمخدرات، والاختلاس والفساد أصبحت متشابهة في كل مكان إنها ثقافة هزيلة وهي برأي كثير من الخبراء تروج لثقافة الهمبرجر، والكوكاكولا، والغناء على الطريقة الأمريكية وهي طلائع العولمة التي لا تبشر إلا بمزيد من الشقاء والتعاسة للبشرية [1].

إنها لا تعنى أبداً بنقل التقنية والمعلومات، والخدمات والنقل والبضائع والشركات، لكنها تقدم طعماً مسموماً للأمم وبالذات للأمة الإسلامية ضمن سباق فكري لا تحتاج إلى ذكاء شديد أو حتى بلاهة أشد لمعرفة حقيقتهم. إنها ثقافة الاستهلاك وتسطيح الوعي ثقافة الربح وتكديس الأموال.

خطة الترويج لثقافة العولمة:

إن هذا الطعم الذي يقدم للأمم عبر ما يسمى ثقافة الترويج، يدرس قبل ذلك بدقة متناهية حتى تتكلل الجهود بالنجاح ويتم ذلك عبر ثلاثة مراحل [2] تتعلق الأولى

(١) د. ناصر الأحمد - مادة محاضرة في شريط كاسيت مرجع سابق، وانظر مقال عن عولمة الاستثمار التجاري في مصر عن مجلة المجتمع الكويتية العدد (١٣٩٩) ٢٠٠٠/٥/٩م وما بعدها.

(٢) حاتم بن عثمان - العولمة والثقافة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ط١/١٩٩٩م ص٣١، ٣٠.

بالبضاعة والثانية بالمستهلك (المتلقي) والثالثة بطريقة التبايع (القناة).

يحدد شكل البضاعة ويختار لها الثوب الذي تنزل به وتضبط الزوايا للتركيز على جوانب من خصوصياتها الحقيقية أو المزعومة حتى تكون مستجيبة لحاجيات المستهلكين ورغباتهم الظاهرة أو الخفية، الحقيقية أو المستحدثة المختلفة، وتخضع كل هذه المراحل الأولية للدراسة والبحث بالاعتماد على علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الوراثة والجينية[1].

ولكي يتم الوصول إلى الغاية أو الهدف «تحدد الشرائح التي تشكل الهدف الأنجع للرسالة الموجهة الأطفال أم المراهقون أم الشباب أم المرأة أم بعض من هذه الشرائح كأداة جذب للمستهلك ويتم على ضوء ذلك اختيار الطريقة والوسائل الناجحة للوصول إلى الشرائح المستهدفة» [2].

وفي خطوة ثالثة وباستخدام أدوات الإعلام يتم الشروع في «الحملة الإشهارية عبر أدوات تبدو للمتلقي مألوفة، قريبة محببة إلى نفسه في حياته اليومية، حتى لا يفاجأ أو يشعر بانتهاك لحرمته الشخصية أو خصوصياته الثقافية، وحتى لا تكون ردود فعله إزاء الجديد الطارئ متسمة بالرفض أو النفور. وإن التجأت أساليب الإشهار إلى اعتماد التجديد في الأدوات الحاملة للرسالة فإنها تتوخى طريقة الاستفزاز الإيجابي أو الإضحاك المسلي كأداة لإرسال الرسالة - البضاعة - إلى المستقبل المستهلك وتقريبها منه» [3].

وتبدأ هذه الخطة غالباً «بالترويج للفكرة قبل المادة نفسها حتى تتهيأ لها العقول وتستوعبها وتتوهم امتلاكها قبل الحصول عليها ثم تصبح شبه مألوفة، عادية لديها، وكأنها شيء قديم منسي غاب عنها، ثم يتحول الإحساس إلى سلوك يتصف أحياناً باللهفة والإقبال بشدة ونهم على المادة - البضاعة - ويغدو المستهلك نصيراً وداعية لنشرها، وكأنها من إنتاجه أسيراً لها كأقدم عاداته وأعرق تقاليده فتتحول البضاعة إلى جزء من المخزون الثقافي، منتوجاً ثقافياً في مراحل بثه وتلقيه، وبهذا يكون المتلقي قد استهلك

(١) المرجع السابق، الصفحةنفسها.
(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(٣) المرجع نفسه ص ٣١.

الفكرة قبل المادة، وتبنى الدال قبل مدلوله، لسلاسته وشاعرية صياغته، وتعدد إيحاءاته ودغدغته مشاعر المخاطب ومحاورة لا وعيه» [1]ولا إدراكه.

ولترسيخ ثقافة العولمة فإن الأسلوب نفسه يستخدمه مروجو العولمة وأنصارها ودعاتها لتحرير أبعاد العولمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبالأخص الثقافية التي تعتبر مدخلاً رئيسياً لنشر العولمة.

ومن هنا فإن خصوصيات الشعوب وثقافتها مهددة عملياً بخطر التآكل والتقويض والانصهار، بل والانفجار من الداخل وانهيار البنية الاجتماعية والفكرية التي تقوم عليها المجتمعات والأقليات بقيم الاستهلاك والتسويق والترويج السريعة المتحولة المتغيرة بتغير البضاعة» [2].

يتجسد الخطر الأكبر في «انسياق الجميع دون وعي أو اختيار في النمط الأوحد للإنسان لوهم السعادة المتمثل بالارتقاء إلى حضارة الازدهار والتقدم بما ينطوي على ذلك من تكريس لطوية حضارة ما على سائر الحضارات، وسمو ثقافة ما على سائر الثقافات دون أثر أو دليل ملموس سوى أن العالم أصبح (قرية واحدة!!) وبالتالي فلا شيء يعلو على شيء، ولا شيء يفرق بين أهلها، ومن هذا المنطلق كيف لثقافة أن تعلو على أخرى ما دام الكون قرية واحدة والناس كلهم أهل قرية واحدة، وأنى لثقافة أن تعلو على نفسها والشيء واحد» [3].

والحقيقة أن الترويج لما يسمى بالقرية الكونية خدعة لا يمكن أن تتماشى مع سنة التنوع والاختلاف في الكون قال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا..}[4] الآية وقد مر معنا أن لكل شعب ولكل مجتمع خصوصيته وثقافته ومنهجه وطريقته في الحياة، فأتى لهذه السنة أن تختلف، والله عز وجل يقول:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ

(١)المرجع السابق ص ٣١ وما بعدها.
(٢) المرجع نفسه ص ٣١.
(٣) المرجع نفسه ص٣٢.
(٤) الحجرات آية ١٣.

وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[1] وقال تعالى:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[2] أي أن الاختلاف سنة ماضية والله سبحانه قضاها على الناس إلى يوم الفصل بين الخلق. وهنا لا يُحل الخلاف، فهيهات هيهات لمروجي العولمة أن يجمعوا الناس على وتيرة واحدة، وما أبعدها من أمنية وإن لجأوا إلى أساليب الترغيب والترهيب:{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}[3].

* * * * *

المطلب الرابع:
البعد الاجتماعي للعولمة

يشير هذا البعد إلى فرض نموذج ونمط حياة معين وعلاقات اجتماعية مادية ونفعية عقلانية واستبعاد كل ثقافات المجتمعات الأخرى سواء الدينية منها أو القومية أو العرقية أو القبلية أو.. والتركيز في ذلك على الوطن الإسلامي الكبير، والوطن العربي تحت مشروع (الشرق أوسطي).

إن هذا النموذج هو نموذج أو نمط الحياة الغربية وعلى الخصوص النمط الأمريكي، عبر دعاوى الحرية كحرية المرأة وحرية الرأي، وحرية الأقليات، ودعوى حقوق الإنسان[4].

إن القصد من ذلك في الدرجة الأولى مسخ هوية الأمم وخاصة الأمة الإسلامية التي تتميز عن سائر الأمم بمميزات تغرس في نفوس أصحابها العزة والكرامة والاستعلاء على متع الحياة وزخرفها وزينتها وبهرجها والتي تغرس في نفوس المنتمين إليها شعور الانتماء الخاص والشرف الأبقى والكمال الأوفى، شعور الهوية الكاملة المرضية والصيغة الحسنة والانتساب الكريم لرسول كريم ودين كريم وحياة كريمة.

---

(١) هود آية ١١٨، ١١٩.
(٢) يونس آية ٩٩.
(٣) يوسف آية ٢١.
(٤) د. رسلان خضور، د. سمير إبراهيم - مستقبل العولمة - عن قضايا راهنة العدد(٧) مرجع سابق، وانظر موضوع المرأة المسلمة والمؤتمرات الدولية عن مجلة الأسرة السعودية العدد (٩١) شوال ١٤٢٠هـ ص١٨ وما بعدها.

مظاهر العولمة الاجتماعية:

إن النموذج الذي يريده مروجوا العولمة نموذج متحلل من قيود الأخلاق والقيم والدين وحتى القوانين المحافظة إن كان لها وجود، نموذج تترسخ فيه قيم ومفاهيم اجتماعية تدعو لمزيد من التفكك والضياع، وتجارة الجنس والدعارة ودور الأزياء والموضة والتجميل وشركات الأفلام والترفيه وشركات السياحة والسفريات[1]...

المؤتمرات الدولية ورسم السياسات العالمية:

وإن معالم البعد العولمي ومظاهره تتحدد وُتقنن ومن خلال مؤسسات دولية ومؤتمرات عالمية أصبحت تزاحم الدول في رسم سياستها الاجتماعية وإلزامها بمعايير محددة تجاه قضايا معينة مثل حقوق المرأة والطفل، ومعايير العمل، وحماية البيئة، وحقوق الإنسان والأديان.. إلى غيرها من القضايا.

وكذلك فإن الغرض الأساسي من هذه المؤتمرات هو تأطير الأنماط السلوكية الشاذة التي تتعارض مع الفطرة الإنسانية ونشرها، وتفكيك المنظومة القيمية لكثير من الدول وخاصة الإسلامية، وإعادة بنائها وفق تصور ثقافة العولمة والتسلل لاحتواء موارد الدول الفقيرة واستغلالها لصالح المؤسسات المالية الغربية والمالكين لها من دهانقة اليهود والمتهودين فكراً وسلوكاً، ونشر الأنماط السلوكية التي أفرزتها الفلسفة الجدلية المادية التي من مقتضياتها الانفلات السلوكي [2].

ففي خلال عامين عقدت ثلاثة مؤتمرات تحت عناوين غاية في الذكاء يختارها خبراء في العلوم الإنسانية يستغبون بها الأمم ويدعون إليها مختلف المؤسسات والمنظمات والنقابات والدول.. ففي شهر سبتمبر أيلول ١٩٩٤م عقد في القاهرة المؤتمر العالمي للسكان والتنمية، وفي شهر سبتمبر أيلول ١٩٩٥م عقد في بكين (الصين) مؤتمر المرأة، وفي شهر حزيران ١٩٩٦م انعقد في استنبول مؤتمر الإيواء البشري، هذه

---

(١) د. مصطفى حلمي، د. جمال عبد الهادي، د. الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم - في ندوة عن هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق - عن البيان العدد (١٢٨) ١٩٩٨/٨م ص٥٤ وما بعدها.

(٢) د. محمد محزون - العولمة بين منظورين عن مجلة البيان العدد (١٤٥) ص١٢٧ وانظر ناصر محمد علي الطويل - انعكاسات العولمة على مستقبل السيادة الوطنية - اليمن أنموذجاً مقال في مجلة شؤون العصر عن المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية يناير - مارس ٢٠٠٢م ص١١٠. وكذلك د. محمد عبد الله الشباني - العولمة الاقتصادية ومؤتمر الإيواء البشري - عن البيان عدد (١٠٢) ص٩٦.

المؤتمرات وسابقتها ولاحقتها تحت رعاية الأمم المتحدة، وهي التي تخطط وتؤطر هذه المؤتمرات، وهي الذراع التنفيذي لمخططات الولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها في أوروبا [١].

إن الشعارات التي دأبت الأمم المتحدة على رفعها ووفق دعايتها، هي تحسين أوضاع العالم الاقتصادية والتجارية والعمرانية والاجتماعية، لكن حقيقة الأمر تبدو خلاف ذلك، إن هذه المؤتمرات أداة ووسيلة تستخدمها الليبرالية الجديدة المسيطرة على العالم اقتصادياً وفكرياً من خلال تأطير السلوك الاجتماعي والسياسي، واستبعاد الجوانب الأخلاقية في السلوك الاقتصادي وفق منظور خاص يخدم مصالحها الأيدلوجية والاقتصادية [٢]، ويوافق الفكر العلماني الذي يقوم عليه الرأسمالية والليبرالية الجديدة وقد يصعب الجزم بحصر الدوافع الحقيقية الكامنة خلف هذه المؤتمرات المتتالية والأهداف التي تنوي الوصول إليها، وليس من الدقة في شيء أن نقول: إنها قامت فقط لحرب المجتمعات الإسلامية فهناك الكثير من المجتمعات الغربية نفسها فضلاً عن غيرها يعارض هذه المؤتمرات وقراراتها[٣].

ولكن من الممكن القول: إن الظروف العالمية المعاصرة والأنماط الجديدة للعلاقات الدولية قد هيأت للغرب الرأسمالي ثقلاً وتأثيراً لم يكن يتمتع به من قبل عند وجود المنافس. ومن ثم فإن هذه المؤتمرات تقع في مربع محاولات الغرب فرض نموذجه الاجتماعي تكملة لنجاحه في فرض نموذجه السياسي والاقتصادي ممثلاً في الليبرالية وآلية السوق [٤].

إن العولمة أو النظام العالمي الجديد نشأ أولاً لخدمة أو لنشر جوانب سياسية واقتصادية تهم القوى العالمية الكبرى وخاصة أمريكا [٥]ثم توسعت هذه العولمة لتشمل

(١) د. محمد محزون - العولمة بين منظورين - مرجع سابق ص١٢٧، وانظر أحمد عبد الدائم أبو نصرة - الهجمة على العقيدة والنظام الاجتماعي في الإسلام - عن البيان العدد (١٦١) ٢٠٠١/٤م ص١٤١.

(٢) د. محمد المحزون المرجع السابق ص١٢٧، وانظر د. محمد عبد الله الشباني - العولمة الاقتصادية ومؤتمر الإيواء البشري - عن مجلة البيان العدد (١٠٢) ص٩٦.

(٣) انظر الأسرة، ٩١، ص ٢١، ٢٢، وانظر عبد السلام بسيوني كتاب الأسرة (ماذا يريدون من المرأة - مكتبة الملك فهد الوطنية - إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، ط١ / ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ٢٥..

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر د / حازم البلادي: النظام الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب

قيماً ومفاهيم جديدة يتفق عليها ويراد لها أن تحكم العالم وتكون بديلاً للقيم الدينية والعرقية التي عادة ما تكون سبباً للعصبيات والتناحر وفقاً للرؤية الغربية.

ولقد استخدمت مظلة الأمم المتحدة لتكون غطاءً عالمياً وقانونياً لترويج هذه القيم والمفاهيم والتجارة بها من خلال مؤتمرات دولية تخدم في الحقيقة القوى العالمية الكبرى وخاصة أمريكا وأوربا.

تمكنت هذه القوى من إيجاد تطور موضوعي في الفكر الدولي أقنع بقية القوى الفاعلة فضلاً عن دول العالم الثالث الذي منه العالم الإسلامي بهذه التطورات حتى خرجوا من ذلك بنصيب الأسد من المصالح والمكاسب.

بينما كان العالم الإسلامي كغيره من دول العالم الثالث الطرف الخاسر في كثير من القضايا رغم بعض النجاحات هنا أو هناك، شملت هذه التطورات كثيراً من الجوانب الاجتماعية والأخلاقية وظهر ذلك جلياً في المؤتمرات الخاصة بالمرأة والسكان حين طرحت قضايا تصادم وبشكل سافر واستفزازي قيماً أخلاقية فطرية تشترك فيها الكثير من المجتمعات بل إنها تصادم ما نصت عليه الاتفاقيات السابقة.

إن هذا الإصرار والتصميم وصيغ الإلزام في الاتفاقيات وآليات مراقبة التنفيذ لبنود هذه المؤتمرات خاصة فيما يتعلق بأنماط السلوك الاجتماعية الغربية التي ترتكز على الإباحية والتحرر[1] يقود إلى تساؤلات تفرض نفسها منها على سبيل المثال:

- لماذا الإصرار في قضية المرأة والسكان والمؤتمرات المتطاولة لتذليل أي اعتراض أو مصادمة؟! ولماذا المخاطرة بمواجهة العواطف الدينية الجياشة للآخرين بهذه القوانين؟!!

ثمة عوامل تشير إلى الجواب على مثل هذه التساؤلات تكمن في النقاط التالية: -

١ - تطور المفاهيم الاجتماعية في المجتمعات الغربية لمزيد من الإباحية والتفكك،

الباردة،= =سلسلة عام المعرفة (٢٩٧) /٢٠٠٠م، ص ٢٣٥ وما بعدها.

(١) انظر مجلة الأسرة المرجع السابق العدد(٩١) ص١١، وانظر عبد الرحمن سعد موضوع تحت عنوان (مؤتمر الإفساد الكبير) في نيويورك تحت شعار "المرأة ٢٠٠٠" عن مؤتمر نظمته الأمم المتحدة تحت عنوان (الجيندر التنمية المساواة والسلام في القرن الـ ٢١) عن مجلة المجتمع العدد (١٤٠٢) ٢٠٠٠/٥/٢٠م ص٢٤.

حيث صناع القرار لديهم غارقون في هذه التحولات، ويكفي الإشارة إلى الوجود المتزايد للشاذين جنسياً في الدوائر الرسمية هناك.

٢ - ضغوط أصحاب المصالح والمنفعة الذاتية كتجار الجنس والدعارة، ودور الأزياء والتجميل، وشركات الأفلام والترفيه وشركات السياحة والسفريات، وكذا ضغوط جمعيات التحرر النسائية ذات النفوذ والتأثير الواسع خاصة عند بعض الأحزاب السياسية.

٣- افتقار الحضارة الغربية للقيم الأخلاقية الرفيعة التي تقاوم بها ضغط الأخلاق الدينية التي يمتلكها الآخرون. بل إنهم عمدوا إلى تطويع الكنيسة البروتستانتية للاعتراف بهذه القيم السافلة كالشذوذ والحرية والمساواة ليكونوا بذلك ديناً جديداً للعولمة [١].

٤ - وإن من جملة الأهداف التي يركزون عليها من خلال عقد المؤتمرات تلو المؤتمرات هو تفكيك الأسرة في البلاد الإسلامية بالذات والتي هي من أهم مرتكزات الإسلام، بل ومن أهم محاضر التربية والتنشئة والتطويع لأمر الله تعالى وعبادته. وفي الأسرة ينشأ أفرادها مترابطين ومتكافلين ومتعاونين، ولا يخفى أن الأسرة مكونة من زوج وزوجة وأبناء وأعمام وأخوال وأجداد. وهي إلى جانب أنها ارتباط ثقافي فهي ارتباط ديني وهي لبنة غاية في الأهمية في بناء مجتمع سليم خال من الأنانية والفوضى والاضطراب والقلق والأمراض.. إنها انتماء للدين وللوطن وللتقاليد والقيم[٢].

٥- ولأن الغرب يفقد مثل هذه القيم السامية والمثل العليا، فإنه لا يفتأ محاولاً تعكير صفو هذه القيم على المسلمين وزعزعة نظامهم الأسري، ومحاولة إخراجهم من دينهم إلى دين الكفر والضلال. وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم فقال تعالى:{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}[٣]{وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [٤].

لقد أصبح الشغل الشاغل للتجمعات والمنظمات العالمية السعي لعولمة الحضارة

---

(١) عن مجلة الأسرة العدد (١١) ص٢٣.
(٢) عبد الرحمن سعد - مؤتمر الإفساد الكبير "المرأة ٢٠٠٠" - ص٢٤.
(٣) البقرة آية ١٢٠
(٤) البقرة آية ٢١٧.

الغربية بكافة أنواعها وخاصة الحياة الاجتماعية للشعوب، وذلك من خلال تقنين الإباحية والرذيلة وتعميم الشذوذ. كل ذلك باسم حقوق الإنسان والحرية الشخصية، وتقويض بناء الأسرة النمطي لأنها - بزعمهم - أكبر عائق من عوائق التقدم والرفاهية فهي أقدم مؤسسة اجتماعية وينظرون إلى قوامة الرجل فيها على أنه نوع من التسلط حيث أنه يمارس على المرأة من خلال القوامة أشكال القهر والعنف، ومن أجل التحرير المزعوم الموهوم للمرأة فإنهم يصرون على التخلص من النظام الأسري المتبع لدى كثير من الشعوب والدول (إما تديناً أو ثقافة مكتسبة أو فطرة)، ولو أدى ذلك إلى التمرد على الدين والفطرة السليمة التي أرست دعائم الشعوب على مر التأريخ البشري[1].

ومن خلال هذه المؤتمرات والتي تشرف عليها الأمم المتحدة تمرر الصيغ والتوصيات والقرارات والتي تهدف إلى إباحة الرذائل بكافة أشكالها تحت غطاء حقوق الإنسان والحرية الفردية والتنصل من أي دين أو قيمة أخلاقية أو حتى تقاليد أو أعراف!!

ففي مؤتمر (الجندر[2] والتنمية والمساواة والسلام) الذي عقد في نيويورك ٢٠٠٠/٦م طرحت عدة قرارات وليست توصيات، إنها قرارات ملزمة لكل من حضر!!

وكل دولة حضرت ومنها بالطبع دول إسلامية ملزمة بهذه القرارات[3] والتي تتلخص فى التغيير النمطى للأسرة وإباحية الإجهاض، وتقليص سلطة الأبوين، إلى غير ذلك مما سيأتى بتفصيل أكثر من خلال ذكر جل المؤتمرات التي عقدت باسم المرأة والتنمية والسكان وغير ذلك من الشعارات.

---

(١) عبد الرحمن سعد - مؤتمر الإفساد الكبير " المرأة ٢٠٠٠" - ص٣٤، وانظر أ. د. أحمد الريسوني: حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة عن كتاب الأمة القطري، العدد (٨٧) محرم ١٤٢٣هـ، ص ٥٠، ٥١

(٢) معنى كلمة (الجندر) هو النظر إلى المرأة والرجل بمعنى أنهما نوع وليس ذكر وأنثى أى جنس (sex)، وأن النوع معناه رفض حقيقة أن الوضع البيولوجي وهو المصير لكل فرد، ورفض حقيقة أن اختلاف النزعة وفرض فكرة حق الإمسام في تغيير هويته الجنسية وأدواره المرتبة عليها ومن ثم الاعتراف رسمياً بالشواذ والخنثين والمطالبة بإدراج حقوقهم الانحرافية ضمن حقوق الإنسان، ومنها حقهم في الزواج وتكوين أسر والحصول على أطفال بالتبنى وتأجير البطون.

(٣) عبد الرحمن سعد نفس المرجع السابق ص٢٥، وانظر فؤاد عبد الكريم - العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة - عن البيان (١٧٠) ص٢٤.

إن شعارات هذه المؤتمرات هي الدفاع عن الحريات والحقوق لكنها شعارات جوفاء خرقاء لأنها مدخل لأغراض يروج لها مديرو هذه المؤتمرات المتحكمون بها من أنماط معيشية وسلوكية نابعة من مجتمعات ليس لها ثوابت دينية أو أخلاقية أو قيمية، وإن ما تنادي به هذه المؤتمرات وتدعو له إنما هو في الحقيقة أمراض وأوبئة اجتماعية نخرت في المجتمعات الغربية، وفككت وشتت أسرهم ولم يبق لهم سوى التزيين، وإطلاق الغرائز بلا كابح ولا حاجز من دين أو خلق أو قانون أو فطرة باسم الحرية وحقوق الإنسان والدفاع عن المرأة[1].

وصدق الله العظيم إذ يقول:{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً}[2].

إن الأسلوب المتبع في الطرح في هذه المؤتمرات التي تعقد باسم الشرعية الدولية أسلوب يرتدي الثوب الغربي للعولمة، وبالتالي فهو يؤدي إلى نزاعات جديدة في ميادين حقوق الإنسان وحرياته حيث إن الحريات التي ينادون بها أيضاً هي بمفهوم مجتمعات غربية ليس لها دين إلا المنفعة والاستهلاكية والغرائز والشهوات والملذات..

إنها ناجمة عن انحراف مسيرة القيم، حيث تنشر حريات لا يستهان بضررها.. ويدفع الإنسان الغربي لها ثمناً من إنسانيته لا يستهان به أيضاً[3].

إن القضايا المطروحة في هذه المؤتمرات غاية المراد منها تسويق كل ما هو غربي وعولمته من عالم القيم والمصالح، وما يطرح في هذه المؤتمرات لا يصلح للطرح على المستوى الدولي، ولا يمكن تحويلها عن طريق هذه المؤتمرات ولا عبر الاتفاقيات أو التوصيات أو القرارات إلى أرضية مشتركة للأسرة البشرية[4]، لأن هذا الإلزام يتنافى مع مبادئ الحريات والحقوق الإنسانية الأساسية من منطلقاتهم هم.

---

(١) نبيل شبيب - المؤتمرات الدولية والخطوط الحمر وصراع القيم - عن مجلة المجتمع العدد (١٤١١) ٢٠٠٠/٨/١م. وانظر سيد قطب في الظلال الجزء الثاني تفسير سورة النساء في الآية المشار إليها أعلاه وهنا كلام عجيب وموفق لسيد رحمه الله إذ وضع الدواء على الداء في شرحه لهذا الآية وهذا مقتطف من كلامه في شرح الآية الكريمة.

(٢) النساء آية ٢٧.

(٣) نبيل شبيب: المؤتمرات الدولية، والمرجع السابق، ص ٤٠.

(٤) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وهي قضايا شخصية أسرية، وخصوصيات، وثقافات مجتمعاتية، وحضارات أمم، وعلى هذا فالإلزام عن طريق القرارات، إنما هو اعتداء سافر وتناقض صريح مع ما ينادون به من حريات شخصية وحقوق إنسان، ومن هنا يظهر زيف الشعارات التي يرفعونها ويلوحون بها في هذه المؤتمرات مثل الدفاع عن الحقوق والحريات وحقوق الإنسان.. حقوق المواطنة، حقوق الأقليات، وحقوق المرأة، وحقوق الطفل.. غيرها من الحقوق غير المنتهية التي ما هي إلا خديعة للعالم وخاصة المسلمين من أجل نزع حرياتهم وزعزعة خصوصياتهم(١).

وعادة ما تتناول هذه المؤتمرات قضايا الفرد والأسرة والقيم الأساسية في حياة الإنسان بصورة مباشرة، نظراً إلى انعقادها لهذا الغرض، وقد تتناول هذه القضايا رغم عدم وجود علاقة مباشرة بها لكنها تستند إلى تشابك العلاقات البشرية ومجالات الحياة الإنسانية، وهي حجة كاذبة، ويظهر ذلك عندما تُحول قضايا التمويل أو التنمية إلى صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، بل وتُرهن مناقشتها والتوصل إلى اتفاقات ما بصددها إلى حين الحسم في القضايا الأخرى ذات العلاقة المباشرة بالقيم الذاتية الفردية والاجتماعية، كقضايا العلاقات بين الجنسين، وهذا ضرب من ضروب الابتزاز على مستوى دولي "رفيع"، وهو ما كان مرافقاً لمعظم المؤتمرات الدولية المعنية، وعلى وجه الخصوص تلك المؤتمرات التي تناولت قضايا تهم البلدان النامية(٢).

إن هذا السلوك الدولي بأشكاله المتعددة تجاوز مستوى الاعتداء المتواصل على "الممتلكات والثروات المادية " كما عرفته أشكال الاستعمار القديم والحديث العسكرية والسياسية والاقتصادية إلى الاعتداء المباشر على " الممتلكات والثروات المعنوية " من معتقدات وقيم وتصور ومناهج وثوابت حضارية على اختلاف أشكالها وتعدد تنوعها البشري كان يسبب حدة النزاعات القديمة ويطورها إلى كوارث إنسانية(٣).

ولكن السبب الرئيسي الذي مهد وأدى إلى هذا التطور الخطير اليوم، هو ذلك الاعتقاد السائد عند الغرب بأن انفراط عقد النظام الشمولي وانهياره، يعتبر انتصاراً

(١) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٢) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٣) المرجع السابق، ص ٤١، ٤٢.

عالمياً للرأسمالية الغربية وانتصاراً للأفكار السائدة في المنظومة الرأسمالية وهو ما كان يحلم به الغرب من زمن بعيد، وإن الانتصار مهما طال سيكون حليفهم في هذه الحرب الباردة. ومن هنا جن جنون الغرب الرأسمالي بقيادة أمريكا فبدأت بالاجتياح العسكري والاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي في كل مكان لتتسلم بذلك ورثها من النظام المفكك الأوصال في الشرق، حتى تعدت بذلك على القيم والأخلاق والأعراف والعادات والديانات والحضارات وغير ذلك، ووظفت هذا الانتصار الموهوم في طرح كل ما هو غربي وغريب على المجتمعات من خلال هذه المؤتمرات بأسلوب الابتزاز والإكراه والضغوط باسم العولمة! أو الهيمنة! أو لنقل الأمركة! إذ الغالب الآن طرح كل ما هو أمريكي على أنه في أعلى درجات سلم الرقي والحضارة والثقافة والتحديث، وإن كان الذي يعولم هو فقط ما فيه الانحلال والترهل وسفساف الأمور باسم ثورة المعلومات والتكنولوجيا الغربية والحضارة المتفوقة. وقد روجت لذلك بمقالات عدة منها على سبيل المثال: مقالة نهاية التأريخ، وصدام الحضارات، لفوكوياما وهونتغتن على التوالي.

وفي تفصيل أكثر يمكن الإشارة إلى ما تدعو إليه هذه المؤتمرات[1] إنها تدعو إلى:

أولاً: إغفال الدين واستبعاده تماماً من تقنينات هذه المؤتمرات وفصل الدين عن الدولة. واعتبار الإنسان سلعة سوقية تخضع لقانون العرض والطلب وليس خلقة إلهية تستوجب التكريم والحماية والصيانة كما قال تعالى: **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}**[2].

ثانياً: إلغاء جوانب تشريعية معلومة من الدين بالضرورة كتعديل نظرة الإسلام في قسمة التركة بين الذكر والأنثى. وهذه دعوة مرفوضة شرعاً لأنها تلغي تشريعاً وارداً مفروضاً قال تعالى: **{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً}**[3]، وكذلك تحديد هذا النصيب في آية أخرى مثل قوله تعالى: **{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ}** إلى آخر

---

(١) د. عبد الله العبيد - عن رسالته كأمين عام لرابطة العالم الإسلامي إلى مؤتمر المرأة ٢٠٠٠م - عن مجلة المجتمع العدد ١٤٠٤.

(٢) الإسراء آية ٧٠.

(٣) النساء آية ٧.

الآية [1]، وقد ترث المرأة أكثر من حظ عشرة من الرجال كما في بعض الحالات[2].

ثالثاً: العمل على هدم الأسرة وتكريس المفهوم الغربي للأسرة من خلال الدعوة إلى التغيير في شكل الأسرة حيث إن البرنامج يرى " أن عملية التغيير الديمغرافي والاجتماعي والاقتصادي السريع في أنحاء العالم أثرت على أنماط تكوين الأسرة وهيكلها، أما الأفكار القديمة التقليدية للتقسيم على أساس الجنس للمهام الأبوية والمهام المنزلية فلا تعكس الحقائق والتطلعات الراهنة " بل يصرح برنامج الأمم المتحدة أن الأهداف تتمثل في وضع سياسات وقوانين تأخذ في الاعتبار تعددية أشكال الأسرة، مع مطالبة الحكومات بتطوير الآليات الكفيلة بتوثيق التغييرات، وأن تجري الدراسات بصدد تكوين الأسرة وهيكلها. وهذه عبارة تتضمن تشجيعاً ضمنياً للاعتراف بالأسرة المتكونة خارج الإطار الشرعي سواء كانت بين رجل وامرأة بدون زواج أو بزواج أو بين رجل ورجل أو بين امرأة وامرأة كما هو موجود في بلاد الغرب. وهذا شيء يتناقض مع الدين الإسلامي الحنيف ومبادئه السامية. كما أن في هذا قطع لدابر النسل البشري ولا يمكن فرضه على المسلمين. وإن ولوج هذا المنحى يعتبر بمثابة إعلان حرب على المسلمين وعلى الفضيلة أينما وجدت [3].

رابعاً: رفع ولاية الآباء عن أولادهم: وذلك من خلال برنامج يضمن وصول الخدمات المتعلقة بالصحة الجنسية والتناسلية بما في ذلك حالات الحمل المتكرر والتثقيف الجنسي والوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية "الإيدز" وغيره من الأمراض التي عادة ما تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي، ويؤكد برنامج الأمم المتحدة أنه يجب ضمان سريتها وخصوصيتها بدعم وتوجيه الوالدين، وبما يتمشى مع اتفاقية حقوق الطفل. وفي هذا مخالفة صريحة لروح الشريعة الإسلامية ونصوصها حيث حمّل الإسلام الأبوين مسئولية كبرى في تربية أولادهم وإعدادهم لتحمل أعباء الحياة[4] وفي

---

(١) (النساء آية ١١).

(٢) انظر فؤاد آل عبد الكريم - العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة - البيان ١٧٠ ص٣٩، وانظر مؤتمر ٢٠٠٠، ومؤتمر ١٩٩٦ في تركيا، ومؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية في كوبنهاجن ١٩٩٥م.

(٣) انظر د. عمر عبيد حسنة - في تقديمه لكتاب الأمة - العدد ٨٣ بعنوان التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة ص٢١ - ٢٢ وانظر مؤتمر القمة العالمي المنعقد في نيويورك ١٩٩٠م عن البيان ١٧٠ ص٣٨ - ٣٩

(٤) انظر عمر عبيد حسنة المرجع السابق ص٢٢، وانظر المؤتمر الدولي المعني بالسكان في المكسيك

ذلك يقول الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [1]ويقول رسول الله ﷺ : «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الرجل راع ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها» [2].

وقوله ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» [3].

خامساً: رفع سن الحد الأدنى للزواج: ويتضمن برنامج الأمم المتحدة عبر مؤتمراته وخاصة مؤتمر (المرأة ٢٠٠٠) المنعقد في نيويورك الدعوة إلى الحرية الجنسية والإباحية للمراهقين والمراهقات والتبكير بها مع تأخير سن الزواج، وفي هذا معارضة واضحة وصريحة لتعاليم الإسلام التي تدعو إلى الزواج وتحث عليه ما دامت الاستطاعة قد وجدت والقدرة عليه قد تحققت وفي ذلك يقول الله تعالى:{وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[4]، وقوله ﷺ : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج» [5].

وإن موقف الإسلام واضح المغزى والمنطلق، إنه يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين فلا تنتهي إلا إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي[6]، إنه الحفاظ على المجتمع والحرص على طهارته وإعلاء راية العفة والحشمة في ربوعه، ولم يكتف الإسلام بهذا بل سد ذرائع الفساد وحث على غض الطرف وجعله من الآداب

١٩٨٤م عن البيان ١٣٠ ص٣٨، وهذا يتضمن الفقرة السابقة من وثيقة المؤتمر والسكان المنعقد في القاهرة، ١٩٩٤م، انظر الحسيني سلمان: جاء وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية كتاب الأمة الصادر في قطر، العدد (٥٣)، ص٥٦.

(١) التحريم آية ٦.

(٢) صحيح البخارى، كتاب الاستقراض وأداء الديون، باب العبد راع مال سيده رقم (٢٢٣٢).

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين رقم (١٢٩٦).

(٤) النور آية ٣٢.

(٥) أخرجه الأمام أحمد والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٧٩٧٥.

(٦) سيد قطب، عن ظلال القرآن في تفسير سورة النور، ج٥، ص٢٥١١، ص ٢٥١٢، دار الشروق.

النفسية ومحاولة للاستعلاء على الرغبة في الاطلاع على المحاسن والمفاتن في الوجه والأجسام وإغلاقاً للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية ومحاولة عملية للحيلولة دون وصول السهم المسموم[1].

قال تعالى:{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}[2] وهذا الأدب عام وشامل للرجال والنساء كما هو مذكور في الآية التي بعدها، وقال ﷺ: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك والثانية عليك»[3]، وقال ﷺ: «النظرة سهم من سهام إبليس» [4].

إن إطلاق النظر بدون قيد ولا رادع ولا حياء لا يورث إلا سعاراً جنسياً مجنوناً لا يرتوي صاحبه ولا تهدأ نفسه إلا ويعود مرةً أخرى إلى الظمأ والاندفاع، والواقع الغربي المتحلل من كل حياء وعفة، أكبر شاهد على هذه الحال فإنه رغم ما يشاع من أن هذا الانطلاق وهذه الحرية إنما هو تنفيس وترويح وإطلاق للرغبات الجنسية ووقاية من الكبت والعقد وتخفيف من الضغط الجنسي إلا أن العكس صحيح وزيادة عليه فإن الإرث الحقيقي لذلك والعاقبة الوخيمة هي الأمراض النفسية الفتاكة والأوبئة الخبيثة القاتلة والنسل الضائع الذي لا يعرف له أصلاً ولا موئلاً وانتشار الجرائم وارتكاب عظائم الأمور [5].

سادساً: إباحة الزنى [6]: - وهذه نصوص من مواد المؤتمر: (ينبغي أن يكون الهدف مساعدة الأزواج والأفراد على تحقيق أهدافهم التناسلية وإعطائهم الفرص الكاملة في ممارسة حق الإنجاب باختيارهم).

وجاء فيه (أنه ينبغي على الحكومات أن تسهل على الأزواج والأفراد تحمل

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) النور آية ٣٠.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر، رقم (١٨١٧)، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: "إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر...".

(٤) الحديث ضعيف وأحسن منه ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه " إن الله كتب على ابن آدم حضه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهاما النظر... "

(٥) انظر سيد قطب في ظلال القرآن تفسيره الآية المذكورة أعلاه في سورة النور، ص ٢٥١١.

(٦) انظر د. الحسيني: وثيقة مؤتمر السكان، ص ٥٨ مرجع سابق.

مسئوليتهم عن صحتهم التناسلية والجنسية بإزالة ما لا لزوم له من عوائق قانونية وسريرية وتنظيمية تقف في وجه اكتساب المعلومات والحصول على خدمات وأساليب تنظيم الأسرة).

تشير هذه النصوص بخفي العبارة ولحن القول إلى إباحة الممارسات الجنسية بغير ضابط من دين أو قانون، بل وينبغي بحسب الإشارة في النص تسهيل ذلك وتيسير السبل الكفيلة بإتمام ذلك على أكمل ما يمكن.

وإن في ذلك محاربة واضحة لدين الله ومعارضة لما جاء في كتاب الله تعالى مثل قوله سبحانه وتعالى:{وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً}(١) وفيه أيضاً إشارة إلى إبطال حدود الله التي جاءت في القرآن أو السنة لأنها - حسب فهمهم وبغيهم - عوائق في وجه الإباحية والارتكاس في حمأة الرذيلة.. (٢).

سابعاً: إباحة الإجهاض: بدعوة برنامج الأمم المتحدة ضمنياً إليه من خلال الاهتمام بالمراهقين والمراهقات وتثقيفهم عبر برامج الرعاية الصحية التناسلية وهذه نصوص واضحة في ذلك مثل قولهم: (ينبغي أن تكون برامج الرعاية الصحية التناسلية والجنسية مصممة لتلبية احتياجات المرأة والفتاة المراهقة)، وكذا معالجة (قضايا المراهقين المتصلة بالصحة الجنسية التناسلية بما في ذلك الحمل غير المرغوب فيه) (٣).

وفي هذا كله مخالفة صريحة وحرب شعواء على الدين، وخروج على الفطرة الإنسانية، وقد قال تعالى:{وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ}(٤).

ثامناً: الضلال في معالجة الإيدز: ولمعالجة هذه المعضلة بل العقوبة الربانية لجأت الأمم المتحدة إلى طريقة خسيسة ودنيئة لتشجيع الزنى وذلك بتوفير ما يسمى بالواقي الذكري جيد النوعية وكذلك إتاحة العقاقير الخاصة بهذا الأمر ونسوا بل تناسوا أنه لن

---

(١) الإسراء آية ٣٢.

(٢) انظر المؤتمر الدولي المعني بالسكان في المكسيك ١٩٨٤م عن البيان ١٣٠ ص٣٩، وانظر وثيقة المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة في بكين ١٩٩٥م عن البيان العدد ١٣٠ ص٣٨، وانظر د. الحسيني سليمان جاد: وثيقة المؤتمر السكان والتنمية، ص ٥٧، مرجع سابق.

(٣) عن مؤتمر الأمم المتحدة المرأة ٢٠٠٠م المساواة والتنمية والسلام في القرن الـ ٢١ المنعقد في نيويورك.

(٤) الأنعام آية ١٥١.

يتم لهم ذلك (أي معالجة هذا الوباء الخطير) إلا باتباع تعاليم الإسلام الذي لم يترك شاردة ولا واردة إلا ووضع لها حلاً [1].

تاسعاً: الدعوة إلى تحديد النسل بسبب الرزق [2]: وفي هذا من الجهل والضلال ما لا يخفى إذ أن الله تعالى قد تكفل بالأرزاق في الأرض ما يكفي لسد حاجات البشرية كلها من يوم خلق الله السماوات والأرض إلى يوم القيامة، قال الله تعالى:{وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} [3]. وقال تعالى:{وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ}[4].

وقال رسول الله ﷺ: **«لا تستبطئوا الرزق، فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغه آخر رزق هو له، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، أخذ الحلال وترك الحرام»** [*].

وتدعو قوى العولمة إلى تحديد النسل في بلاد المسلمين مستنفدة بذلك غاية جهدها ومستخدمة شتى الوسائل الاختيارية، أو الإجبارية إن أمكن، بل لقد قررت اللجوء إلى قطع المعونات الاقتصادية عن بعض الدول التي لا تستجيب لمسألة خفض السكان.

ففي المؤتمر الثالث الذي عقدته هيئة اليونسكو في سان فرنسيسكو بحضور مائة من العلماء لبحث مشكلة التضخم السكاني والحد منه في الدول النامية يعلن (لي دوبريج) المستشار العلمي للرئيس نكسون أن الاحتفاظ بالعدد الحالي لسكان العالم دون زيادة مسألة هامة وحيوية، وأن الولايات المتحدة باتت تفكر في قطع معوناتها الاقتصادية عن

---

(١) انظر المؤتمر العالمي للبيئة والتنمية المنعقد في البرازيل عام ١٩٩٢م عن البيان ١٧٠ ص٣٨ - ٣٩، والمؤتمر العالمي الأول للسكان في رومانيا عام ١٩٧٤م المرجع السابق ص٣٨ وكذا مؤتمر عام ١٩٧٩م تحت عنوان القضاء على كافة أشكال التمييز نفس المرجع ص ٣٧ وانظر د. الحسيني: وثيقة مؤتمر السكان، ص ٦١، مرجع سابق.

(٢) د. عبد الله العبيد - رسالة منه كأمين عام لرابطة العالم الإسلامي إلى مؤتمر المرأة ٢٠٠٠ - عن مجلة المجتمع العدد١٤٠٤ ١٣/٦/٢٠٠٠م وانظر مجلة الأسرة العدد ٩١ ص١٨، وانظر د. الحسيني جاد: وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية، ص (٦٧ - ٧٠) مرجع سابق، وانظر محمد يوسف: أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة، دار الاعتصام، ط١ /١٩٧٥م، ص ٧٥ وما بعدها.

(٣) الأعراف آية ١٠.

(٤)الحجر آية ١٩، ٢٠، ٢١.

(*) هو في الترغيب والترهيب للمنذري وهو عند الحاكم والبيهقي عن جابر رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير الجزء الأول تحت رقيم ٧٣٢٣

الدول التي لا توقف تزايد سكانها، وقال: إن استخدام مركبات منع الحمل في مياه الشرب والطعام، قد يكون حلاً لهذه المشكلة في الدول النامية.

وفي نفس الوقت تعمل (قوى العولمة) على تشجيع النسل في بلدانها، وترفض تماماً تحديد النسل، بل إنها لا تنكر أي علاقات غير شرعية تثمر مئات الألوف من أبناء الزنا واللقطاء. المهم هو استمرار نمو سكانها كما جاء على لسان رؤسائها إيزنهاور (١٩٥٩م) في مؤتمر له، وعلى لسان نكسون (١٩٧٢م) الذي أكد موقف إيزنهاور من تحديد النسل في هذه الدول، بل تتسابق الدول المتقدمة في إعطاء جائزة لأفضل أم منجبة ولأحسن أب ينتج أكثر وتقرر لكل طفل عدداً من الجنيهات [١].

وهذا مشاهد تماماً حيث لا يوجد أي قانون ردع للعلاقات غير الشرعية، بل على العكس، تعمل تلك الدول على تشجيعها، وإضفاء الشرعية عليها بما تعمله من مؤتمرات تحت شرعية الأمم المتحدة.

وهذا كيلنتون يصعد إلى الفوز بالرئاسة، بعد وعده للشواذ بالاعتراف بحقوقهم رسمياً، والسماح لهم بممارسة ما يشتهون من غير زجر أو حتى توبيخ!!

ويا للأسف كأنهم استلهموا ما عند المسلمين من حث على زيادة النسل والتكاثر الذي هو من صميم الدين الإسلامي فعملوا به وتركناه نحن المسلمين.

فالرسول ﷺ يقول: «**تزوجوا الولود الودود فإن مكاثر بكم**» [٢] وفي حديث آخر: «**تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى**» [٣]. وإن كان في هذا الحديث ضعف إلا أن الحديث الأول يشهد له ويعضده.

تركنا هذه التعاليم ولجأنا بدافع الانبهار بما عليه الغرب إلى تعاليمه، واستلهمنا منها ما يؤدي إلى ضعفنا وهزيمتنا.

---

(١) انظر محمد يوسف: أهداف الأسرة في الإسلام، ص ٨٢ مرجع سابق.

(٢) أخرجه النسائي كتاب النكاح باب كراهية تزويج العقيم (٣١٧٥) وهو في صحيح الجامع للألباني رقم (٢٩٤٠).

(٣) رواه ابن ماجة في سننه كتاب النكاح باب تزويج الحرائر رقم (٨٥٨) وهو في صحيح الجامع للألباني رقم (٢٩٤١).

تعمد الأمم المتحدة إقصاء الدين:

وإن من المؤسف ألا يعتمد برنامج الأمم المتحدة الأديان مرجعية له البتة[1]، بل أزاح الدين بأكمله عن سياسة الدنيا، وأهمل كثيراً من القيم الفاضلة والمبادئ السامية التي تدعو إليها الأديان، بالرغم من تأثيرها في تسيير دفة الحياة عامةً لو كان لها وجود، ومما يدعو للأسف أيضاً أن برنامج الأمم المتحدة يتناسى في مرجعيته كون الإنسان مخلوقاً مكرماً يستوجب الحماية والصيانة كما قال تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}[2].

بل إن المتتبع لخطوات برنامج الأمم المتحدة الخاص بالمرأة منذ البداية (منذ عام ١٩٤٦م)، حينما أُنشئت لجنة مركز المرأة كهيئة رسمية دولية تتألف من خمس وأربعين دولة، يجد أنها جعلت من دستور الأمم المتحدة وميثاقها الذي أبرم بتاريخ ١٩٤٥/٦/٢٦م والذي يقضي على عدم التفرقة بين الناس بسبب الجنس كما جاء في مادتيه الأولى والثانية - جعلت هذه اللجنة هاتين المادتين من أوليات اهتماماتها، وعلى ذلك فقد استخدمت قضية عدم التفريق بين الناس (المساواة) في تمرير كثير من القضايا التي تنادي بها الأمم المتحدة لعولمة النموذج الغربي للمرأة في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية الثقافية والإعلامية.. إلخ [3].

ولما صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في عام ١٩٤٨م نجد أنه أفسح المجال للمرأة أكثر حتى نص في مواده على كافة الحقوق الإنسانية المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وأكد في مواده أيضاً على أنه لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات المذكورة في الإعلان دونما تمييز أو تفريق بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي سياسياً وغير سياسي، أو الأصل الوطني أو

---

(١) انظر د. محمد بن عبد الله الشباني: السكان والتنمية من المنظور الإسلامي، مجلة البيان، العدد (٨٥) فبراير ١٩٩٥م، ص٤٣ وما بعدها

(٢) الإسراء آية ٧٠.

(٣) انظر فؤاد بن عبد الكريم آل عبد الكريم - العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة - عن مجلة البيان العدد (١٧٠) ص٣٦، ٣٥، ومجلة الأسرة (٩١) ص١٨، وانظر الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة نيويورك ١٩٩٥م، وانظر د. أحمد محمد علي الأمين الأسبق لرابطة العالم الإسلامي: العلاقة بين الرجل والمرأة تغالب أم تكامل، مجلة الأسرة، ص ٨١

الاجتماعي أو الثروة أو المولد أو أي وضع آخر [١].

والملاحظ هنا كيفية صناعة الكلمات وإجادة حبكها وصياغتها فلا يتخللها مجالاً للنكوص أو التملص، حتى يقع المسلمون وغيرهم في الشراك المصنوع لهم بأسلوب ماكر وخبيث.

وفي المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية المنعقد في (١٩٥١م) أكد ضمن مواده على المساواة في الأجور بين العمال والعاملات [٢].

ولقد شددت الأمم المتحدة على هذه النقطة بالذات في العام ١٩٦٦م ضمن العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتفق عليه وكذلك العهد الدولي الخاص بالحقوق السياسية والمدنية [٣].

وفي العام ١٩٦٧م صدر الإعلان الخاص بالقضاء على التمييز ضد المرأة: أكدت الأمم المتحدة فيه: -

حق المرأة الدستوري في التصويت والمساواة مع الرجل أمام القانون.

حقوقها في الزواج والتعليم ومبادئ الحياة الاقتصادية والاجتماعية مع الرجل سواء بسواء [٤].

وفي خطوة أخرى جريئة ضد أمة الإسلام خصوصاً والشعوب الأخرى عموماً نرى الأمم المتحدة تعقد مؤتمرها هذه المرة في طهران باعتبارها في عقر دار الإسلام بغض النظر عن عقيدة المسلمين منها أسمته (إعلان طهران ١٩٦٨) نص في بنده الخامس عشر على أن: (يتم القضاء على كافة أنواع التمييز ضد المرأة وضرورة تنفيذ كل أحكام الإعلام العالمي لحقوق الإنسان) وتمهيداً لما سيأتي من مؤتمرات بعده.. ألحقت مادة في البند السادس عشر تنص على أن حماية الأسرة والطفل تظل مسألة

---

(١) انظر فؤاد بن عبد الكريم آل عبد الكريم المرجع السابق عن محمد الزحيلي في حقوق الإنسان في الإسلام، ومجلة الأسرة (٩١) ص١٨.

(٢) انظر فؤاد بن عبد الكريم المرجع السابق عن سامية بنيسي - المرأة في الإسلام - وعن محمد بسيوني - حقوق الإنسان ومجلة الأسرة (٩١) ص١٨ - ١٩.

شاغلة للمجتمع الدولي كافة [1].

ثم لم تلبث الأمم أن تقدر زيادة عدد المؤتمرات الخاصة بالمرأة تحت رعاية الأمم المتحدة، وفي حين غفلة من الأمة الإسلامية وتبعية واضحة تترنح تحتها وبزخرف من القول جذبت الأمم المتحدة إليها كثيراً من الدول، على أنه لا ينبغي التناسي بأن من يحضر سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي سيكون ملزماً بتنفيذ كل ما سيتخذ من إجراءات أو من قوانين أو توصيات ومن هنا يأتي الخطر الأعظم، الخطر الذي سيعم كل العالم تقريباً تحت مظلة الأمم المتحدة.

فكان أول مؤتمر يعقد خاص بالمرأة هو: مؤتمر مكسيكو عقدته الأمم المتحدة تحت شعار إنساني أخاذ وبعيد عن أي استفزاز لمشاعر المسلمين وهو " المساواة والتنمية والسلم " وذلك في عام ١٩٧٥م حضرته ١٣٣ دولة واعتمد فيه أول خطة عالمية متعلقة بوضع المرأة على المستوى الحكومي وغير الحكومي في المجالات السياسية والاجتماعية والتدريب والعمل على حماية الأسرة واعتمدت هذه الخطة لرسم سياستها عقداً كاملاً من الزمن يعني إلى عام ١٩٨٥م [2]. وفي عام ١٩٧٩م عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة مؤتمراً تحت شعار " القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة ". فخرج المؤتمر باتفاقية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة وكانت ولأول مرة صيغته ملزمة قانونياً للدول التي توافق عليها [3].

ومما برز من مواد هذه الاتفاقية:

١ - الاعتراف بتساوي الرجل والمرأة في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية أو غيرها بغض النظر عن حالتها الزوجية.

٢ - اتخاذ جميع التدابير المناسبة - بما في ذلك التشريعي منها - لتغيير أو إبطال الموجود من القوانين والأنظمة والأعراف التي تشكل تمييزاً ضد المرأة.

(١، ٢، ٣) فؤاد عبد الكريم، المرجع السابق، ومحمد بسيوني في حقوق الإنسان ج١، ص٣٢.

(٢) وكان قد عقد قبله المؤتمر العالمي الأول للسكان في بوخارست ومؤتمرات السكان تعالج مشكلة تزايد الأعداد البشرية ومجمل معالجتها تهتم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالمرأة والأسرة، انظر الأسرة (٩١) ص٣٧.

(٣) فؤاد بن عبد الكريم آل عبد الكريم عن البيان (١٧٠) ص٣٧.

٣ - تعديل الأنماط الاجتماعية والثقافية للقضاء على العادات القائمة على فكرة تفوق أحد الجنسين أو على أدوار نمطية للرجل والمرأة.

٤ - وكذلك القضاء على أي مفهوم نمطي عن دور الرجل والمرأة على جميع مستويات التعليم، وفي جميع أشكاله، عن طريق تشجيع التعليم المختلط وغيره من أنواع التعليم.

٥ - يجب على جميع الدول التي وافقت على حضور المؤتمر منح المرأة أهلية قانونية في الشؤون المدنية مساوية أو مماثلة لأهلية الرجل ونفس فرص ممارسة تلك الأهلية.

٦ - أن يكون للمرأة نفس الحقوق في أن تقرر بحرية وبشعور من المسؤولية عدد أطفالها والفترة بين إنجاب طفل وآخر.

٧ - وأن يكون للمرأة نفس الحقوق فيما يتعلق بالولاية والقوامة والوصاية على الأطفال.

والملاحظ في هذه المواد استعمال كلمات المساواة والمماثلة - نفس الحقوق - التي تقف عموماً ضد أي تشريع أو قانون أو أعراف أو تقاليد وتبقى توصيات وقرارات المؤتمرات بمثابة دينٍ ينبغي على الجميع اعتناقه.

أليس هذا تشريعاً واتخاذ أرباب من دون الله؟!

وفي نفس المشروع عقدت الأمم المتحدة عدة مؤتمرات وتحت الشعار نفسه " المساواة والتنمية والسلم " ففي عام ١٩٨٠م عقد المؤتمر العالمي الثاني في كوبنهاجن بالدانمرك وذلك لاستعراض وتقويم التقدم المحرز في تنفيذ توصيات المؤتمر العالمي الأول للسنة الدولية الذي عقد في المكسيك.

وفي عام ١٩٨٥م عقد مؤتمراً عالمياً ثالثاً في نيروبي. لاستعراض وتقييم المنجزات السابقة التي عقدت من أجل الغرض نفسه: المرأة تحت شعار " المساواة - التنمية - السلم "، وعرف باسم " استراتيجيات نيروبي المرتقبة للنهوض بالمرأة "، وذلك من عام ١٩٨٦م حتى عام ٢٠٠٠م. وقد شارك فيه (١٥٧) دولة. وبينت فيه الأهداف والغايات

واحتاطت فاتخذت التدابير الملموسة للتغلب على كل العقبات [1].

وفي عام ١٩٩٥م عقدت الأمم المتحدة (المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة) في بكين. وقد دعت فيه إلى مضاعفة الجهود والإجراءات الرامية إلى تحقيق أهداف استراتيجيات نيروبي.

وقد تميز هذا المؤتمر عن سابقيه بالدعوة (بصريح القول ووضوح العبارة) إلى ما يخالف الشرائع السماوية والفطرة الإنسانية وتمثل ذلك في: -

الحرية والمساواة بين الجنسين.

السماح بالحرية الجنسية.

التنفير من الزواج المبكر.

العمل على نشر وسائل منع الحمل.

الحد من خصوبة الرجال.

تحديد النسل.

السماح بالإجهاض المأمون.

التركيز على التعليم المختلط.

التركيز على تقديم الثقافة الجنسية للجنسين بسن مبكرة.

تسخير وسائل الإعلام لتحقيق تلك الأهداف والوصول إلى ما يريدون من غايات وفي ذلك كله سلباً لسياسة الدين على العباد، ولولاية الأباء على الأبناء، ولقوامة الرجال على النساء.

إذاً لقد أصبحت الحقيقة بادية للعيان ولا تخفى على أحد، إن هذه المؤتمرات أو المؤامرات على الإسلام والمسلمين - إن صح التعبير - تعنى بالدرجة الأولى استهداف الأسرة المسلمة حيث تعتبر - كما أسلفت - من أواخر الحصون الإسلامية التي لما تسقط بعد، سواء على المستوى الثقافي، أو الاجتماعي، أو القانوني، لذلك لا بد من إسقاطها

(١) فؤاد بن عبد الكريم آل عبد الكريم عن البيان (١٧٠) ص٣٧.

obeikandi.com

وإغراقها في الفلسفات والممارسات التي سقطت فيها الأسرة في الحضارة والثقافة الغربية.

إنها دعوة صريحة ترمي إلى انحلال الأسرة وبعثرتها وابتداع بدائل اجتماعية غربية لها[1].

ويا ليتها وقفت عند هذا الحد بل كثفت الأمم المتحدة من عقد المؤتمرات التي لا تمت للمرأة بأي صلة ومع ذلك فقد أقحمتها فيها وفرضت - تحت غطاء الشرعية الدولية - ما تريد من قرارات وتوصيات منتهكة بذلك الحريات الشخصية والسيادات الدولية وحقوق الإنسان، باسم حقوق الإنسان حيث أقامت الأمم المتحدة مؤتمرات خاصة بالسكان - والبيئة والتنمية - المستوطنات البشرية، إلى أن وصلت إلى مؤتمر الإفساد الكبير - بحسب عبد الرحمن سعد - مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة عام ٢٠٠٠م تحت شعار " المساواة - التنمية - السلام في القرن الـ٢١ " الذي انعقد في نيويورك.

ولتسليط الضوء على هذه المؤتمرات التي لا علاقة للمرأة بها ظاهراً أعرج بشيء من الاختصار إلى ذلك.

حيث أقامت الأمم المتحدة المؤتمر العالمي للسكان في رومانيا عام ١٩٧٤م. فاعتمدت خطة عملها أسساً ومبادئ عديدة، دعت فيها إلى:

١ - الدعوة إلى تحسين دور المرأة ودمجها الكامل في المجتمع ومساواتها بالرجل.

٢ - معالجة مشكلة تزايد الأعداد البشرية.

٣ - مساواة المرأة بالرجل.

٤ - تحديد النسل.

ثم ألحقت ذلك بمؤتمر دولي خاص بالسكان وذلك في المكسيك عام ١٩٨٤م دعت فيه من جديد وأحيت ما تظن أنه ربما قد درس خلال العقد المنصرم مثل:

١- إعطاء المرأة حقوقها المساوية للرجل في جميع مجالات الحياة.

---

(١) عمر عبيد حسنة - تقديم في كتاب الأمة التفكيك الأسري الأسباب والحلول المقترحة - ص٢٣، وانظر د. أحمد محمد علي العلاقة بين الرجل والمرأة، عن مجلة الأسرة، (٩١) ص ١٨.

٢- رفع سن الزواج.

٣- تشجيع التأخر في الإنجاب.

٤- إشراك الأب في الأعمال المنزلية والعكس أي إشراك المرأة في المسئولية الأسرية أي دعوتها إلى العمل خارج المنزل مساواة بالرجل.

٥- ولم تغفل الدعوة إلى الإقرار بالأشكال المختلفة والمتعددة للأسرة وفي هذا البند جرأة ووقاحة على الديانات والأعراف والتقاليد وابتزاز للثقافات وإقصاء للشرع الإسلامي.

٦- الدعوة إلى التثقيف الجنسي للمراهقين من الجنسين.

٧- وأقرت العلاقات الجنسية خارج نطاق الأسرة (الزنى!!).

٨- ولا يفوتنا أن ننوه إلى أنها أقرت وأوجبت الدعم المادي والمعنوي للزانيات والزناة وتوفير السكن الملائم لهم.

كل ذلك يتم في صمت رهيب من المسلمين القائمين على "الأمر والنهي! "، وكأن الأمر لا يعنيهم أبداً، إنها حرب ضروس على الإسلام وعلى معتنقيه، بل وفرض دين جديد ولسان حال الأمم المتحدة تحت تحكم الأمريكان يقول كما قال تعالى على لسان فرعون: **{أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}**[1]، وقوله: **{مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ}**[2]، وصدق الله العظيم إذ يقول: **{وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً}**[3]، إنهم بهذه القرارات وسابقها ولاحقتها يريدون كما أخبر الله عنهم أن يطلقوا الغرائز من كل عقال ديني أو أخلاقي أو اجتماعي [4].

ولا يمكن أن يترك المجال لذوي الانحراف واتباع الهوى، الذين يشرعون للناس ما لم يأذن به الله، وإن هذه الآية القصيرة المشار إليها أعلاه بحسب سيد قطب تدمغ باطلهم وتدحض حججهم:

---

(1) النازعات آية ٢٤.
(1) غافر آية ٢٩.
(٢) النساء آية ٦٧.
(٣) انظر سيد قطب في تفسير الظلال دار الشروق ط/١٦ الجزء الأول ص٦٣١.

و«تكشف عن حقيقة ما يريده الله للناس بمنهجه وطريقته، وحقيقة ما يريده بهم الذين يتبعون الشهوات ويحيدون عن منهج الله.. يريد الله تعالى حين يبين لهم منهجه، ويشرع لهم سننه، أن يتوب عليهم ويهديهم ويجنبهم المزالق، ويريد أن يعينهم على التسامي في المرتقى الصاعد إلى القمة السامقة.

وأما الذين يتبعون الشهوات ويزينون للناس منابع ومذاهب لم يأذن بها الله ولم يشرعها لعباده، إنهم يريدون لهم أن يميلوا ميلاً عظيماً عن المنهج الراشد والمرتقى الصاعد والطريق المستقيم.

إن هذه الآية وما قبلها تواجه في الحقيقة ميداناً خاصاً هو ميدان تنظيم الأسرة وتطهير المجتمع، وتحديد الصور النظيفة الوحيدة التي يحب الله أن يلتقي عليها الرجال والنساء، وإرادة التيسير وإرادة الخير بالجماعة المسلمة على كل حال، وتحريم ما عداها من الصور، وتشنيعها وتقبيحها في القلوب والعيون. أما أولئك فإنهم يريدون أن يطلقوا الغرائز من كل عقال ديني أو أخلاقي، أو اجتماعي، أو.. يريدون أن ينطلق السعار الجنسي المحموم بلا حاجز ولا كابح، من أي لون كان. السعار المحموم الذي لا يقر معه قلب ولا يسكن معه غضب ولا يطمئن معه بيت ولا يسلم معه عرض ولا تقوم معه أسرة. يريدون أن يعود الآدميون قطعاناً من البهائم، ينزو فيها الذكران على الإناث بلا ضابط إلا ضابط القوة أو الحيلة أو مطلق الوسيلة كل هذا الدمار، وكل هذا الفساد، وكل هذا الشر باسم الحرية، وهي في هذا الوضع ليست سوى اسم آخر للشهوة والنزوة!»[1].

إن الذين يتبعون الشهوات ممن يأخذون بناصية الإعلام الدولي اليوم ويوجهونه لا يألون جهداً في إضلال المجتمع المسلم، ويبذلون قصارى جهدهم لتحطيم ما بقي للمسلمين من حصون منيعة وأسوار عتيدة، ومن هنا نجد سيد يضيف:

"وهذا هو الميل العظيم الذي يحذر الله المؤمنين إياه، وهو يحذرهم ما يريده لهم الذين يتبعون الشهوات. وقد كانوا يبذلون جهدهم لرد المجتمع المسلم إلى الجاهلية في هذا المجال الأخلاقي، الذي تفوقوا فيه وتفردوا بفعل المنهج الإلهي القويم النظيف، وهو ذاته ما تريده اليوم الأقلام الهابطة والأقلام الساقطة والأجهزة الموجهة لتحطيم ما يعني

(1، ٢) نفس المرجع السابق ج/٢ ص٦٣١.

من الحواجز في المجتمع دون الانطلاق البهيمي، الذي لا عاصم منه، إلا منهج الله حيث يقره المؤمنون به في الأرض كل الأرض "[1].

بل إن قلب المفاهيم وتمييع الحقائق وجعل المعروف منكراً والمنكر معروفاً، لهو ما أخبرنا به الصادق المصدوق رسول الله ﷺ حيث يقول: «**كيف بكم إذا فسق فتيانكم وطغى نساؤكم؟!**» قالوا يا رسول الله وإن ذلك لكائن؟ قال: «**نعم، وأشد. كيف بكم إذا أُمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟!**» قالوا: يا رسول الله وإن ذلك لكائن؟ قال: «**نعم، وأشد. كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً**». قالوا يا رسول الله وإن ذلك لكائن؟ قال: «**نعم**» [2].

ولا أبالغ حين أجزم بأن لكل دعوة من دعوات المؤتمرات التي تعقدها الأمم المتحدة عندنا (المسلمين) منها خبراً من رسول الله ﷺ تخبر بأن ذلك كائن قبل قيام الساعة وأشد من ذلك فتناً يرقق بعضها بعضاً.

وسأذكر شيئاً من ذلك عند الكلام على أخطار العولمة.

وفي عام ١٩٩٤م أقيم المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة وهذا أيضاً في عقر دار المسلمين وتحدٍ سافر للأمة الإسلامية، نوقشت فيه قضايا شبيهة بالتي نوقشت في المؤتمر العالمي الرابع ببكين، ومزيداً عليه فقد أفردت القضايا الخاصة بالمساواة بين الجنسين في فصل خاص تحت عنوان (المساواة بين الجنسين والإنصاف وتمكين المرأة)، وأما التنمية فقد أشار عنوان المؤتمر إلى ذلك فضلاً عن قضايا تنمية المرأة التي نوقشت في ثنايا المؤتمر.

وقد أثارت وثيقة المؤتمر ضجة واسعة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، ولكن هل من فائدة مرجوة حقيقية لتلك الضجة واسعة النطاق؟ وهل أوقفت أو سدت الطريق أمام الإفساد والفساد العريض؟!

إلى جانب هذه المؤتمرات أقامت الأمم المتحدة مؤتمرات أخرى ناقشت فيها بعض

---

(٢) رواه رزين وإن كان في الحديث ضعف إلا أن له شواهد، ولسان الواقع يصدق ذلك، انظر حمود بن عبد الله التويجري: في إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢/١٤١٤هـ، ج٢/ص٨٠.

قضايا المرأة كالتعليم وحقوق الطفل وحقوق التحكم في الإنجاب وتكرار ما سبق من مطالب، وكأن لم يبق شيء إلا وقد تم. وما بقي إلا المرأة في هذا العالم، كل ذلك إمعاناً في تشتيت التجمع الأسري في العالم وخاصة في بلاد المسلمين، فهذا مؤتمر عالمي يعقد في جوستيان - تايلاند عام ١٩٩٠م الذي تم فيه الإعلان العالمي لتوفير التعليم للجميع للجميع [١]. وسمي بالـ (المؤتمر العالمي لتوفير التعليم للجميع).

وفي نفس العام عقد مؤتمراً في نيويورك سمي (مؤتمر القمة العالمي من أجل الطفل)[٢]ركزت الدعوة فيه إلى:

١- حرية الفكر والوجدان والدين.

٢- دعا المؤتمر إلى سلب ولاية الأبوين على الأبناء، وتمكين الطفل من الحصول على المعلومات والمواد من شتى المصادر الوطنية والدولية من غير أي رقيب أو حسيب!

كما عقد مؤتمر ثالث بعد عامين ١٩٩٢م في (ريودي جانيرو - البرازيل)سمي (المؤتمر العالمي للبيئة والتنمية) [٣] أشير فيه إلى:

١- حقوق النساء في التحكم في قدرتهن على الإنجاب.

٢- ودعى فيه إلى إنشاء مرافق صحية وقائية وعلاجية للرعاية الصحية التناسلية تكون مأمونة وفعالة.

٣- ودعا إلى تحديد النسل.

٤- وطالب المؤتمرون بتحسين مركز النساء الاجتماعي والاقتصادي.

٥- ووضع استراتيجيات للقضاء على العقبات الدستورية والقانونية والإدارية والثقافية والسلوكية والاجتماعية الاقتصادية التي تحول دون مساواة المرأة بالرجل. إنه غاية في الإحكام والإحاطة والسيطرة وانتقاء للألفاظ والكلمات حتى تقرر وتؤخذ كقوانين إلزامية على كل دول العالم..

---

(١) فؤاد عبد الكريم عن مجلة البيان ١٧٠ ص٣٩.

(٢، ٣) نفس المرجع السابق ص٣٩.

ولم تقف جهود الأمم المتحدة عند هذا الحد، بل بعد عام واحد فقط أي في عام ١٩٩٣م تعقد مؤتمراً تسميه (المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان) [١] في النمسا، خرج هذا المؤتمر بالنقاط التالية: -

- يحث المؤتمر على أن تتمتع المرأة تمتعاً كاملاً، وعلى قدم المساواة بجميع حقوق الإنسان السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وغيرها - بالمفهوم الغربي - وعلى أن يكون هذا الأمر في أوليات اهتمامات الحكومات في العالم.

- التأكيد على مساواة المرأة بالرجل وإدماجها في عملية التنمية بوصفها فاعلة ومستفيدة من هذه العملية..

- حث المؤتمر على استئصال جميع أشكال التمييز ضد المرأة - الخفية منها والعلنية على السواء - وطالب هذا المؤتمر بالتصديق العالمي من قبل جميع الدول على هذا المطلب الحيوي بالنسبة لهم. على أن يتم ذلك في عام ٢٠٠٠م، وفي نفس العام أي في عام ١٩٩٣م[٢] أصدرت الأمم المتحدة (إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن القضاء على العنف ضد النساء).

وبعد عامين حافلين بالمتابعة والسير بخطى حثيثة نحو إجهاض الشكل الأسري المحمود واستبداله بالشكل الأسري المزيف على الطريقة الغربية، عقدت الأمم المتحدة (مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية) في كوبنهاجن عام ١٩٩٥م. خرج المؤتمرون بالقرارات التالية: -

١ - الإقرار بأشكال الأسرة المختلفة.

٢ - الدعوة إلى المساواة بين الرجل والمرأة.

٣ - إسقاط قوامة الرجل على المرأة داخل الأسرة.

٤ - دعوة الرجل لتحمل الأعباء المنزلية.

٥ - ودعوة المرأة للخروج للمساهمة في سوق العمل.

٦ - إزالة القيود المفروضة على المرأة في وراثة الممتلكات.

---

(١) نفس المرجع السابق ص٣٩.

من خلال هذه القرارات يتضح أن الدعوة إلى الخروج على الفطرة فضلاً عن الخروج على الدين هدفاً استراتيجياً وحيوياً تسعى إليه الأمم النصرانية وخاصة الأمريكان تحت مظلة ما يسمى (بالأمم المتحدة).

ثم يُفاجأ المسلمون بعد سنة من هذا التأريخ فإذا بنا نسمع عن مؤتمر جديد يسمى (مؤتمر الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية) [1] (المونل الثاني) يعقد في تركيا أي في عام ١٩٩٦م دعا هذا المؤتمر إلى التالي: -

١ - كفالة مشاركة النساء مشاركة كاملة على قدم المساواة مع الرجال في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٢ - الالتزام بهدف المساواة بين الجنسين في تنمية المستوطنات البشرية.

٣ - الالتزام بإدماج الاعتبارات المتعلقة بنوع الجنس (جندر) في التشريعات والبرامج والمشاريع المتصلة بالمستوطنات البشرية عن طريق التحليل الذي يراعي نوع الجنس.

٤ - الاعتراف بالأشكال المختلفة للأسرة.

٥ - دعا المؤتمر إلى إجراء إصلاحات تشريعية وإدارية من أجل الحصول الكامل - وعلى قدم المساواة - على الموارد الاقتصادية بما في ذلك الميراث والائتمان.

وهذا خروج على الحياة الإنسانية الفطرية التي فُطر الناس عليها، وكذلك استهتار بالدين واستنكاف عليه، ودعوة إلى التمرد على أي سلطة على المرأة، وأن تكون حرة طليقة سائبة هائمة لا دخل لأحد ولا سلطة له عليها لا أب ولا زوج ولا قريب ولا بعيد..

وأخيراً ولا أظن أخيراً تأتي الفتنة من أوسع أبوابها، فهاهي الأمم المتحدة تفاجئ العالم الإسلامي وتستنفر مشاعرهم بالمؤتمر المهيمن على كل المؤتمرات السابقة واختارت له اسماً فضفاضاً مترامي الأطراف يهدف إلى الإجهاز على كل فضيلة وقيمة نبيلة بقيت أو بقي لها نفس في الحياة. هذا المؤتمر عقد في نيويورك عام النحس ٢٠٠٠م

---

(١) نفس المرجع السابق ص٤٠.

تحت اسم (مؤتمر الأمم المتحدة عام ٢٠٠٠م - المساواة والتنمية والسلام في القرن الحادي والعشرين)[١] وقد تضمنت وثيقة هذا المؤتمر التحضيرية بصريح العبارة وركس القول ما يلي: -

- الدعوة إلى الحرية الجنسية والإباحية للمراهقين والمراهقات والتبكير بها مع تأخير سن الزواج.

- إيجاد مسمى جديداً للداعرات أطلقوا عليه (عاملات الجنس).

- تشجيع جميع أنواع العلاقات الجنسية خارج نطاق الأسرة الشرعية(رجلاً وامرأة).

- تهميش دور الزوج في بناء الأسرة.

- إباحة الإجهاض.

- تكريس المفهوم الغربي للأسرة وأنها تتكون من شخصين يمكن أن يكون من نوع واحد (رجل+ رجل أو امرأة + امرأة).

- تشجيع المرأة على رفض الأعمال المنزلية بحجة أنها أعمال ليست ذات أجر.

- المطالبة بإنشاء محاكم أسرية من أجل محاكمة الزوج بتهمة اغتصاب زوجته.

- إباحة الشذوذ الجنسي (اللواط والسحاق).

- الدعوة إلى مراجعة ونقض القوانين التي تعتبر الشذوذ الجنسي جريمة.

- فرض مفهوم المساواة الشكلي المطلق، والتماثل التام بين الرجل والمرأة في كل شيء مما في ذلك الواجبات: كالعمل وحضانة الأطفال والأعمال المنزلية، وفي الحقوق: كالميراث.

- المطالبة بإلغاء التحفظات التي أبدتها بعض الدول الإسلامية على وثيقة مؤتمر بكين.

---

(١) نفس المرجع السابق ص٤٠، وانظر أحمد عبد الدائم - عولمة الرأسمالية ورأسمالية العولمة - البيان العدد (١٥٩) ٢٠٠١/٢م ص١٢٤ وانظر مجلة المجتمع العدد (١٤٠٤) ٢٠٠٠/٦/١٢م ص٣٠، وفي مجلة الأسرة العدد (٩١) ص٢١ وما بعدها.

obeikandl.com

وأهم هدف في هذا المؤتمر: هو الوصول إلى صيغة نهائية إلزامية للدول بخصوص القضايا المطروحة على أجندة هذا المؤتمر والتي صدر بحقها توصيات وقرارات في المؤتمرات الدولية السابقة تحت إشراف الأمم المتحدة ذات الهيمنة الأمريكية الواضحة.

تغلغل اليهود في صياغة مواثيق الأمم المتحدة:

وغني عن البيان بعد هذا كله أن أشير إلى أن حقيقة هذه المؤتمرات بدلالاتها الواضحة وبيناتها إن هي إلا وسيلة تستخدمها الرأسمالية اليهودية للسيطرة على العالم، وبالنظر إلى حقيقة الأمم المتحدة وعند التأمل بموضوعية في صياغة مواثيقها ومبادئها وقوانينها لا يخفى على ذي لب حجم تدخل اليهود وكبير كيدهم في صياغة تلك المواثيق. وليس ذلك من قبيل التعصب بل هي الحقيقة وسيتجلى الأمر أكثر عند الكلام على وسائل وأدوات العولمة.

ولذلك فإن المشاهد في الأطر الفكرية التي تطرح في المؤتمرات التي تنعقد تحت مظلة الأمم المتحدة، ويطلب ممن يحضرها سواء من حكومات الدول أو من الجمعيات التي تحضر هذه المؤتمرات أن تضع حلولاً مناسبة ما هي إلا أقنعة مزيفة للدخول من خلالها إلى موارد وثروات تلك الدول، وإلى تنميط شعوب العالم وبالذات الإسلامية وصبغتها بالصبغة والنمط الاجتماعي الغربي الذي أصبح يفتقد إلى أي مقوم أخلاقي أو مبدأ نزيه ولا يعترف بالتقاليد أو الأعراف فيما يخص الجوانب الأسرية والروابط الاجتماعية.

فليس غريباً بعد هذا أن تركز هذه المؤتمرات والتي تعقد تحت مظلة الأمم المتحدة على اهتمامات المرأة كما يحلو لهم ويفهمونه وأن تكثف النقاشات والحوارات في هذه المؤتمرات فيما له علاقة بالمرأة وما ليس له علاقة بها ولكنهم يصرون على إدخالها في أجندة ومحاور هذه المؤتمرات.

لقد جعلوا من المرأة شغلهم الشاغل وديدناً يعزفون عليه في كل مناسبة، وليس غريباً أن يُلبس الحق بالباطل وتدغدغ عواطف المرأة في كل مكان باسم حريتها وحقوقها المهضومة فتدعى إلى حضور هذه المؤتمرات لمناقشة مشاكلها ومسائلها باسم

حقوق الإنسان وحقوق المرأة وباسم القضاء على التمييز ضدها والقضاء على العنف المنصب على المرأة فيما سوى المجتمعات الغربية، والنظر إليها على أنها نوع(جندر) وليس (جنساً) وعلى أنها نصف المجتمع وأن طاقاتها مهدرة وإمكاناتها عن العمل والتنمية معزولة وأن الشعوب بحاجة إلى نصفهم المعزول وإبداعات المرأة وإنتاجها وإخراجها من خيمتها (المظلمة) وقوقعتها (المحكمة) وإن في بقائها في البيت إهداراً لكرامتها ومضيعة لما قد تكسبه ويجلب عليها دخلاً يرفع قدرها، ويكون بذلك لها الحرية في اتخاذ قراراتها وإصدار أوامرها ومساواتها من كل الجوانب بالرجل حتى تسهم معه في تنمية مجتمعها والنهوض به نحو الرقي والصعود والتقدم والحضارة - التي يريدون -!!.

خلاصة أهداف المؤتمرات:

وإجمالاً لكل ما تقدم فإن هذه المؤتمرات تستهدف بالدرجة الأولى الأسرة المسلمة التي تعتبر من أواخر الحصون الإسلامية التي لم تسقط بعد سواء على المستوى الثقافي أو الاجتماعي أو القانوني. وتتلخص هذه الأهداف في النقاط التالية:

- لا بد من إسقاط الأسرة المسلمة وإغراقها في الفلسفات والممارسات التي سقطت فيها الأسرة الغربية حيث تحللت من كل القيود والضوابط الأخلاقية والروابط الاجتماعية والعلاقات الأسرية والزوجية على حد سواء.

- التركيز في هذه المؤتمرات دائماً على القضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة على تنوع مستمر في الطرح.

- تزيين القيم الغربية الإباحية والثقافية الديمقراطية وبث ذلك عبر وسائل الإعلام والاتصال من إذاعة وتلفاز وفضائيات وإنترنت وصحف ومجلات، كل ذلك تحت غطاء الحضارة والرقي والتمدن.

عمدت هذه المؤتمرات وبإصرار إلى إخراج المرأة المسلمة من ثوب حيائها وعفافها وإلباسها ثوباً غربياً غريباً لا يليق بها ولا يتمشى مع عاداتها وتقاليدها. والعمل بجهد وإصرار على مسخ هويتها وإفقادها ذاكرتها التاريخية وثقافتها الحضارية واستعانة بذلك - بحنكة وإحكام - بكافة وسائل الإعلام المسيطرة على العالم.

إن هذا المكر والكيد العظيم ونفث هذه السموم إن هو إلا حسد وبغض لما تنعم به الأسرة المسلمة في بلاد الإسلام، حيث الحياة الكريمة والاستقرار الأسري وسلامة أفراد الأسرة من الأمراض الفتاكة، بعكس ما تعج به سجلات الأسرة الغربية المفككة من فضائح الجنس والأوبئة التي حصدت الكثير منهم، والواقع الحالي أكبر شاهد والبشرية ترزح تحت هذا الوباء، ولم يبق سوى شعوب العالم الإسلامي سالمة من هذا الخبث.

وصدق الله العظيم حيث يقول:{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ} [1].

* * * * *

المطلب الخامس:
البعد الإعلامي للعولمة

يمكننا أن نتصور البعد الإعلامي للعولمة بجلاء عندما ندرك مدى المحاولات الجادة والسعي الحثيث - للنظام العالمي الجديد - المروج للعولمة للسيطرة على الإعلام العالمي وعلى وسائل الإعلام قاطبة لينفذ من خلالها وليطرح ما يريد من خلال هذا المشروع القديم الجديد المسمى بالعولمة.

كما يشير هذا البعد إلى عالم بلا دولة، وعالم بلا وطن، وعالم بلا أمة، ذلك أن حكومات العالم تكاد تكون جلها إن لم تكن كلها قد فقدت السيطرة على فضائها الجوي، وأصبح الفضاء اللامحدود هو المكان الذي تتحرك فيه العولمة الإعلامية أو هو أصبح وطن الإعلام [2].

ولأن للإعلام في عصرنا الحاضر دوره المؤثر والفعال على الأمم والمجتمعات، وعلى الدول والمؤسسات وعلى الكبار والصغار، وعلى النساء والرجال كما هو ظاهر [3] لذا فإن الإمكانيات الهائلة التي تمتلكها وسائل الإعلام في الدول المستكبرة وخاصة أمريكا قد سُخرت واستغلت أبشع أنواع الاستغلال وأحقره في " إغواء " أو حتى

---

(١) البقرة آية ١٠٩.

(٢) انظر د. محمد عابد الجابري - قضايا في الفكر المعاصر - مركز دراسات الوحدة العربية ط١/١٩٩٧م ص١٤٧، ١٤٨.

(٣) انظر د. مالك إبراهيم الأحمد - البيان العدد (١٤٨) ص١١٥.

" إذلال " المؤسسات الإعلامية أو الثقافية أو الدينية مع الأسف الشديد لدعم توجهات وأهداف الهيمنة الاقتصادية لرأس المال المحتكر لدى هذه الدول. التي ترنو وتطمح لرسم شخصية إنسانية شهوانية، فاقدة لأي قيم إنسانية راسخة دينية أو أخلاقية، ذات هوس استهلاكي، وفراغ عقلي ووجداني، فاقدة لأي مناعة نفسية أو وجدانية أو عقلية ضد عمليات " التنميط " للشخصية الإنسانية، بحيث يمكن إعادة هيكلة اتجاهاتها وعواطفها كل حين كما لو كانت زياً في الملابس " موضة " وقصة شعر[1] وحتى تنتقل هذه الثقافة بيسر وسهولة إلى العالم قامت الولايات المتحدة بوضع ثقلها كله في قطاعات الاتصالات لنشر وترويج أنماط معينة من الثقافة، ومن أجل ذلك انعقدت أربعة مؤتمرات دولية هي: جنيف ١٩٩٢م، بيونس أيرس ١٩٩٤م، بروكسل ١٩٩٥م، جوهانسبورج ١٩٩٩م، نجح خلالها الأمريكان في تسويق فكرتهم حول " مجتمع المعلومات العالمي" والضغط لفتح حدود أكبر عدد من البلدان أمام التدفق الحر للمعلومات[2].

القفزة الإعلامية الفائقة والثورة التقنية الهائلة:

ولقد تطور الإعلام إلى درجة أدت إلى غزو جميع ميادين الأنشطة البشرية، حيث وجدت بنى أساسية عالمية تنتشر وكأنها نسيج عنكبوتي يمتد عبر العالم أجمع مستفيداً من التقدم الحاصل في تقنية الرقميات وثورة المعلومات، ومن التداخل الحاصل بين قطاعات الاتصال والهاتف والتلفزة والحاسوب وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)[3].

وقد بدا التحول الضخم للاتجاه العولمي للإعلام في عقد الثمانينات من القرن العشرين حيث مس كثيراً من القطاعات كالصحافة المكتوبة، وبرامج التلفزيون كالأفلام الخيالية وأفلام العنف و...»، وبنوك المعلومات دون أن ننسى المعلوماتية. والربحيات الحاسوبية التي أخذت بعداً آخر مع ظهور شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت). ولا تمس هذه العولمة وسائل الإعلام بالمعنى الدقيق والحصري فقط، بل إنها أدخلت

(١) انظر جمال سلطان - الإعلام الإسلامي وتحديات العولمة - مقال ضمن مجلة البيان العدد (١٧٠) ص٦٩، وانظر أحمد ثابت في العولمة والخيارات المستقلة عن مجلة المستقبل العربي العدد (٢٤٠) ١٩٩٩/٢م ص١٧.

(٢) محمد أمحزون: العولمة بين منظورين، البيان العدد، (١٤٥)، ص ١٢٥.

(٣) د. محمد أمحزون - العولمة بين منظورين - المرجع السابق، ص ١٢٥.

تغييرات عميقة على بعض المجموعات الصحفية والتلفزيونية والمعلوماتية حيث إنها أصبحت تجمعات كبرى ذات حضور عالمي. كما وجدت العولمة في بعض المعلنين والمسوقين حليفاً إستراتيجياً، وبخاصة أن هؤلاء الآخرين على استعداد لتفضيل الوسائل الإعلامية ذات الأبعاد العالمية، وذلك للقيام بحملاتهم الإعلامية والإشهارية بكل اللغات للتعريف بمنتجاتهم وتسويقها في كل القارات [١].

إن هذا التطور لم يقتصر على الناحية التقنية، وإنما تعداه إلى تكوين مجموعات أو شركات إعلامية أخطبوطية لها أذرع في كل مكان، ولها وجود في كل صنف من الإعلام تشارك في القرار السياسي وتؤثر في النشاط الاقتصادي وتوجه المجتمعات وتقود الأمم وتؤطر الأفكار والثقافات في الفن والرياضة، وفي الدين والأخلاق، ذلك أنها مرتبطة بصفة ما بالدول التي تنطلق منها[٢].

وإن هذا التأثير يأتي من خلال منتجات الشركات للمواد الإعلامية المطبوعة بالطابع العلماني النابع من عقيدة وثقافة ملاك هذه الشركات الذين ينتجون ما تملي لهم خلفياتهم الأيديولوجية فيصبغونها بتأريخ مزيف ينسبونه إلى الحروب الصليبية والاستعمار الذي جثم على الأمة الإسلامية ويجعلونها حروباً لتحرير وتنوير تلك الشعوب وإخراجها من رتبة الإسلام العتيق كما يصورون من خلال التأريخ المشوه.

تكنولوجيا الإعلام السلطوي في ظل العولمة:

إن أعتى تحد لا يواجه الأمة الإسلامية بأسرها فحسب وإنما بوجه العالم كله هو ما يبثه الإعلام المتسلط على الشعوب العالمية باسم العولمة حينما يوجه إعلامه بخاصة إلى فئة المراهقين والمراهقات والأطفال الذين يقضون الأوقات الطويلة أمام شاشات التلفاز، والكمبيوتر، والإنترنت[٣].

ولم تكن المجتمعات الإسلامية بمنأى عن هدف وتوجه العولمة هذا ضمن ميدان الإعلام، ذلك أنهم حيثما شرعت لهم الأبواب لا يترددون برهة في الولوج، غير آبهين أو عابئين بالثقافات والبيئات والتقاليد فضلاً عن الميادين والأديان لهذه المجتمعات التي

(١) الصادق رابح - وسائل الإعلام والعولمة - عن المستقبل العربي العدد (٢٤٣) ١٩٩٩/٥م ص٢٤.
(٢) د. مالك بن إبراهيم الأحمد - العولمة في الإعلام - عن البيان العدد (١٤٨) ص١١٩.
(٣) د. مالك إبراهيم الأحمد، المرجع السابق، ص ١٢٠ومابعدها.

يدخلونها، وليس لهم غرض إلا الربح، والربح فقط. وأي نشاط اقتصادي يكون وسيلة لزيادة الدخل والربح فإنه محبب ومرغوب وهذا هو منطق العولمة الإعلامية [١].

وبالتتبع لوسائل الإعلام بكافة أنواعها (كالتلفاز، والسينما، والكمبيوتر، والإنترنت) يبدو الأمر أكثر وضوحاً وأشد خطورة حين يلاحظ الحضور الأمريكي الطاغي لدرجة أن أصواتاً عدة ارتفعت تندد وتستنكر وتتخذ الإجراءات ضده.

ولقد تمكنت مجموعة مؤسسات إعلامية من فهم حاجات المجتمعات المختلفة للمواد الإعلامية مما ساعدها على تطوير أدوات إيصال لهذه المواد مستفيدة من التطور التقني الواسع في ميدان الاتصالات، حيث بدأت هذه المؤسسات الإعلامية القوية وهي بالطبع أمريكية في تكوين شركات متعددة الجنسيات وشراء أنشطة ومؤسسات إعلامية في البلدان الخارجية المختلفة وافق ذلك عقد تحالفات استراتيجية مع الجهات المحلية القوية مستفيدة وبدرجة كبيرة من النفوذ الأمريكي السياسي في العالم، وتهاوي أو انهيار أدوات المنع والرقابة ووسائلها في البلدان المختلفة [٢].

ولأن الإعلام أهم وسيلة للسيطرة على رأس المال العالمي وبالتالي التحكم في الاقتصاد والسياسة والثقافة وغيرها فإن الأمر يصبح بديهياً أن يندرج (الإعلام) كجزء هام من النشاط لهذه المؤسسات الدولية والتي تروج للعولمة ولم يكن الأمر مفاجئاً أن يصل عدد المؤسسات الإعلامية إلى (٤٠) مؤسسة نصفها تقريباً أمريكية [٣].

ولهذا نجد أن نظام الإعلام بكل مدخلاته لا يشكل نظاماً دولياً متوازياً حيث تتحكم دول الشمال من الكرة الأرضية بآلية تشغيله وآليات التحكم فيه، وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية وهي بهذا الأسلوب إنما تسعى إلى الهيمنة والسيطرة على دول الجنوب وبالذات العالم الإسلامي. ولا يخفى على ذي لب ما تنتجه هذه المؤسسات الضخمة من كميات هائلة من البث المباشر وغير المباشر والذي يصل إلى غرف النوم عن طريق البث الفضائي والأقمار الصناعية.

هيمنة الشركات المتعددة الجنسية على وسائل الإعلام:

(١) د. مالك إبراهيم الأحمد، المرجع السابق، ص ١٢٠ومابعدها.
(٢) المرجع السابق ص٢٠، ٢١.
(٣) نفس المرجع السابق ص٢١.

ومن خلال إحصائيات منظمة اليونسكو فإن ثلاثمائة شركة إعلامية هي الأولى في العالم منها (١٤٤) شركة أمريكية و(٨٠) شركة أوروبية، و(٤٩) يابانية، ومن بين الـ (٧٥) الأولى في مجال نقل المعلومات إلى الجمهور هناك (٣٩) شركة أمريكية و(٢٥) أوروبية غربية، و(٨) يابانية [١].

وفي قطاع الخدمات المعلوماتية والاتصالات بعيدة المدى، فمن بين الشركات الثماني والثمانين الأولى نجد (٣٩) شركة أمريكية، و(١٩) أوروبية غربية، و(٧) يابانية، وفي قطاع التجهيزات فمن بين الـ (١٨٥) شركة هناك (٧٥) شركة أمريكية، و(٣٦) شركة أوروبية غربية، و(٣٣) يابانية، ويوجد الباقي بأكمله تقريباً في الشمال في كندا واستراليا [٢].

وتقسم هذه الشركات إلى ست مجموعات أربع منها أمريكية، وواحدة أوروبية وواحدة استرالية أمريكية هي:

تايم ورنر (Time Warner)، مجموعة برتلز مان (Bertels Man) مجموعة فياكوم (Viacom)، مجموعة ديزني (Disny)، نيوز كوربوريشن (News corporation)، ومجموعة (T. C. T) إضافة إلى مجموعات أخرى لكنها أقل نشاطاً ودخلاً من هذه المجموعات الكبيرة والنشطة جداً.

ولا يفوتني أن أذكر أن تصريحاً لإحدى الشركات الأمريكية مفاده بأنها في عام ٢٠٠٢م سوف تطلق قمراً صناعياً يبث ألفاً وخمسمائة قناة تلفازية في آن واحد أما كفاءته فإنها تعادل مجموعة الأقمار الصناعية الحالية..، وشبكة الإنترنت القادمة ستصل سرعتها إلى ٢٠٠٠مرة مثل الشبكة الحالية. [٣] الأمر الذي حدا بأحد الباحثين إلى وصف العولمة إنها سلطة تكنولوجية ذات منظومة معقدة لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول، وإنما تطرح حدوداً فضائية غير مرئية، ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على

(١) عبد الجليل كاظم الوالي - جدلية العولمة بين الاختيار والرفض - عن المستقبل العربي العدد (٢٧٥) ٢٠٠٢/١م ص٦٧.

(٢) إحصاءات مستخرجة من تقرير منظمة اليونوسكو عن مجلة الشاهد العدد (١٧٩ـ١٨٠) ٢٠٠٠/٧م ص٦٦.

(٣) عبد الجليل كاظم الوالي - جدلية العولمة - المرجع السابق ص ٦٧، ٦٨.

أسس سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية، لتقيم عالماً من دون دولة ومن دون أمة ومن دون وطن، هو عالم المؤسسات والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمرة منظمات ذات طبيعة خاصة، وشركات متعددة الجنسيات، يتسم مضمونه بالعالمية والتوحد على رغم تنوع رسائله التي تبث عبر وسائل تتخطى حواجز الزمان والمكان واللغة، لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد والرغبات والأهواء "[1].

ونظرة فاحصة إلى هذا الوصف فإن ثمة نقاط مهمة بينها هذا الواصف يمكنني الإشارة إليها والوقوف عند كل نقطة لتحليلها كما يلي:

أولاً: إنه إعلام متسلط متنفذ بتقنياته المتطورة المعقدة المحتكرة لدى مؤسسات خاصة وشبكات تعمل لحساب زمرة خاصة من الثيوقراطيين الإقطاعيين على مستوى خيالي.

ثانياً: لا نجد الإعلام يحترم أبداً حدود الدول وسياساتها ومبادئها وعقائدها وثقافتها وفكرها ولا يضع أي حد أو اهتمام أو اعتبار للديانات والمعتقدات والتقاليد والعادات.

ثالثاً: هذا الإعلام يسعى جاهداً إلى توحيد الثقافات والأفكار والأنماط السلوكية بمنتوجاتها التي توجه المجتمعات قاطبة وتعمل على توحيدها حسب تصورات وعقائد وثقافات نابعة من مديري هذه المؤسسات والشركات.

ولا يهم بعد ذلك أكانت هذه المنتوجات صالحة أو طالحة، طيبة أو خبيثة وغالباً ما تكون طالحة خبيثة إنما يهمه في المقام الأول الربح والربح فقط، ولا يهمه أكانت منتوجاته في أغراض تنموية أم في أغراض إبادية تسعى للهلاك كصناعة السلاح والاتجار به على مستوى عالمي ولا ننسى تصدير المواد الضارة والسموميات مثل أنواع السجائر وأنواع المخدرات وأنواع الأدوية التي تشجع على نشر الفساد والرذيلة والإباحية ولكن ما يهمهم في الأخير هو الربح. ولتنفيذ ذلك تستخدم هذه السلطة التكنولوجية الإعلامية المحتكرة قوتها المادية وهيمنتها السياسية.. وتستعين بما تحققه من أرباح باهظة وكبيرة بأساليب تسويقية ترويجية ماكرة تنطلي على كثير من الشعوب المخدرة بهذه الأساليب والترويجات المدروسة والفلسفات التأثيرية المخططة وهي في

(١) انظر السيد أحمد مصطفى عمر - إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك - عن مجلة المستقبل العربي (٢٥٦) ٦/٢٠٠٠م ص٧٦.

الأخير وسائل موجهة من قبل هذه الشركات المتعددة والمؤسسات العالمية تخدم أغراضها بوسائل الاتصال والإعلام والمعلومات على كل المستويات لتصل إلى كل الشرائح من غير تفريق من كبير وصغير ورجل وامرأة وحكومة ومؤسسة... إلخ.

وليس ثمة عدل أو توازن في مدخلات ومراكز تشغيل وآليات التحكم في هذا الإعلام المهيمن باسم (العولمة) الذي لا يخدم في النهاية إلا قلة محتكرة مسيطرة متنفذة ومهيمنة على هذا الجهاز الخطير في غياب أهل المسئولية والأمانة واستمراء التبعية والانهزامية من قبل الضعفاء ألا وهم المسلمون الذين تركوا سنن الكون ليعمل بها من لا دين لهم ولا خلاق.

ومن هنا كانت النتيجة الحتمية الفساد العريض والفتنة العامة للمسلمين ولغير المسلمين.

إن هذا التركيز للسلطة الإعلامية في أيدي زمرة قليلة من الناس يديرون الشركات التي تعكس في الحقيقة نفوذ تلك الشركات وتفننها في تقاسمها إخراج قيم وسلوكيات ومبادئ هابطة تبثها من خلال برامجها المسموعة والمرئية والمقروءة لتشكل وتحدد وتوجه الرأي العام العالمي. ولا يتم ذلك على المستوى الشعبي فقط، بل يتعداه بمكر ودهاء إلى المستوى الرسمي حتى يصل تأثيره إلى التحكم في اقتصاديات وسياسات الحكومات والدول.

ولقد بلغت درجة نفوذ الإعلام حداً كبيراً حيث أصبح بإمكانه أن يقرر نجاح شخص أو شيء ما أو مثلهما، وأن يكون انتقامياً بصدد ما ينشره على صفحات الكتب والوسائل المقروءة الأخرى وما يبثه عبر الأثير حتى يتناهى إلى أسماع قاعدة عريضة من المتلقين، أو يبثه على نطاق ضيق محدود لا نصيب له في الانتشار.

وعلى سبيل المثال: فهاتان شركتان أمريكيتان كبيرتان تهتبلان فرصة وجود واعظ مغمور في خيمة له في لوس أنجلوس يعقد اجتماعاته مع قلة من الناس لتستغله في وقف تصاعد رياح الليبرالية الجديدة والمد الشيوعي، وكبح جماحهما فتجعل منه بواسطة إعلامه الممتد والمنتشر في طبقة عريضة من الناس. بطلاً قومياً في خلال شهرين حيث تنفخ فيه وسائل إعلامها من صحف ومجلات وأفلام وأخبار ليصبح في مدة قليلة أي

خلال الشهرين فقط الواعظ الأعظم والأول حتى يظهر في غضون أيام قليلة على غلاف مجلة التايمز الأمريكية[1].

ولما قضي الأمر للشركتين لم تترددا أو تخجلاً من وصفهما للسيد المسيح عليه السلام بالشذوذ الجنسي تعزيزاً لثقافة جديدة تهدفان لنشرهما في أوساط جماهيرهما على مختلف المستويات..

والأمثلة كثيرة على نشر ما يريد الإعلام سواء ما يشجع على نشر العنف أو الجنس أو أي قيم سامية أو هابطة، أخلاقية أو حيوانية، إنسانية أو غير ذلك.

إن حجم تلك الشركات ومقدراتها ونفوذها تفوق الحكومات التي ترعاها، ولذلك يمكنها أن تنتقي أي نمط ثقافي لتشجعه، أو أي نمط لتحجر عليه، وتفرض عليه الرقابة.

وهذا التمركز في حد ذاته يعتبر مخالفة صريحة لروح الدستور الأمريكي إن لم يكن لنصه، وقد يصل الأمر بهذه الشركات أن تسيطر على بث إذاعي يخدم مصالحها مثلما أصبحت شركة الإذاعة الوطنية هي شبكة البث الإذاعي لمجموعة من الشركات في أمريكا وكانت في الأصل شركة مؤسسة راديو أمريكا، وذلك بسبب النفوذ السياسي الذي كانت قادرة على توفيره.

وتتركز مصالح هذه الشركات في نشر ثقافتها وتعزيزها والترويج للتشريعات التي تراعي مصالحها ويمثل الإعلان نشاطاً اقتصادياً هاماً، وأداة فعّالة للترويج، ومن أجل ذلك تنفق هذه الشركات مليارات الدولارات لتصميم الإعلانات ووسائله الترويجية ليكون ذلك عاملاً هاماً في نشر ثقافة عالمية ونمط معيشة عالمي يتمشيان مع ثقافة الاستهلاك التي أبدعتها وكرستها الرأسمالية العالمية الأنجلو أمريكية. وقد يصل مجموع ما ينفق في هذا المجال أضعاف ما تنفقه مجموعة من الدول الفقيرة في قطاع التعليم [2].

وتتجسد الثقافة الهابطة والنمط الاستهلاكي اللذان تتبناهما هوليود من خلال الشاشات الصغيرة التي اقتحمت كل بيت تقريباً، فإذا كان معدل ما يقضيه الطفل أو

(١) د. عبد الحي زلوم - نذر العولمة - ص٢٩٢، وانظر د. محمد علي حوات: العرف والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل، ص ٢١٣، مرجع سابق

(٢) عبد الحي زلوم - نذر العولمة - ص٢٩٢ مرجع سابق.

المراهق من[٢] - ٥ ساعات يومياً أمام التلفاز، حيث لا يخلو أي برنامج من إعلان تجاري ما مصحوب بدعوة ضمنية إلى الدعارة والفسق والفجور، فعلى ذلك سوف يشاهد الإنسان البالغ ما مجموعه "٢١" ألف إعلان تجاري سنوياً تدفع أجورها هذه الشركات التجارية العملاقة وتقوم بأعبائها.

ومن هنا تأتي هيمنة هذه الشركات على الرسالة المستهدفة في هذه الإعلانات لتوصلها إلى المشاهد بما يتناسب وروح ثقافة الإعلام ونصوصها [١].

ولقد أصبح باستطاعة الثالوث المدمر الإعلام، والمال، والتسويق، أن ينحي رئيساً أو ينصبه كما فعل بالرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون وإزاحته عن السلطة، وتنصيب الرئيس السابق لروسيا بوريس يلتسن مع أنه لم يحظ بتأييد حتى ٦٪ من الجمهور، وهذا مثال واحد فقط من أمثلة عديدة أخرى.

وإن وسائل الإعلام من صحف، ومجلات، ومحطات، وإذاعات وفضائيات،.. إلخ إنما هي نسخ مكررة تملكها حفنة من الشركات سالفة الذكر تتقاسم المبادئ والقيم نفسها، ولهذا فقد صيغت مواد الإعلام وسخرت وسائله لخدمة الرأسمالية المعلوماتية العالمية سواء كانت في أوقات الحرب أو في أوقات السلم.

وما حرب الخليج الثانية عنا ببعيد عندما استخدمت وسائل الإعلام وسخرت لصالح الهيمنة التي فرضتها دول الاستكبار وخاصة أمريكا، وليس عنا ببعيد أيضاً حرب جزر الفوكلاند ١٩٨٢م حين ادعت بريطانيا أنها حرب ضد العدوان مع أنها في الحقيقة حرب لابتلاع أحواض النفط الموجودة هناك.

ويعمل النفوذ الإعلامي الواسع في الشعوب والمجتمعات عمليات التنويم المغناطيسي وغسيل أدمغتها، ولأنه منحصر في أيدى حفنة من الشركات كما سبق التنويه لذلك فإن نوعاً من التشويش والتناقض ينتج عن ذلك[٢].

وتعمل هذه الشركات على انتقائية الأخبار وتحيزها لصالح ثقافاتها وأجندتها

---

(١) المرجع السابق ص٢٩٣

(٢) المرجع السابق ص(٢٩٥، ١٩٩٦م)، ولمزيد من تركيز الضوء على نفوذ الإعلام انظر: دوريس إيه جربير: سلطة وسائط الإعلام في السياسة، ترجمة أسعد أبو ليدة، دار التيسير، عمان الأردن، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، خلاصة ٨٨م، ص (١٢٣٠) وما بعدها.

الخاصة، ولهذا أصبح الإعلام وسيلة للبيع يخضع للربح والخسارة، لا يلوي على شيء باسم أخلاق أو مبادئ سامية أو عادات نبيلة بل يلقيها خلفه ظهرياً. حقاً وبحسب الكاتب الأمريكي باغدبكيان إن هذا الإعلام يصدق عليه وصف - المتسلط وذي القبضة الحديدية - لمسخ هويات المجتمعات حيث يقول: " لقد أصبح للجنس والعنف وهما التوأمان اللذان أنجبهما البث الإعلامي المألوف قبضة حديدية وسلطة غير قابلة للتغيير على الآباء المريكيين والمربين، ولقد بدا العنف الحقيقي في أوساط المجتمع انعكاساً طبيعياً للعنف الذي يظهر في الشاشة. والمسألة التي على المحك الآن ليست في إحصاءات مالية فحسب، بل في امتلاك سلطة تصل وتطوق كل رجل وامرأة وطفل في البلاد بعبارات وصور مراقبة ومهيمن عليها وذلك للتأثير على كل جيل من الأمريكيين اجتماعياً، ولتغيير الأجندة السياسية للبلاد"[1].

ثم بعد ذلك وباسم العولمة يتم فرض هذه السياسة الإعلامية على العالم كله تحت شعار التطور والحضارة والتقدم والانفتاح وباسم حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق الطفل، ثم تنعقد المؤتمرات تحت رعاية الأمم المتحدة وتحت هيمنة الولايات المتحدة كل ذلك باسم "العولمة" تحقيقاً لشعار قديم رفعه رئيس أمريكا السابق روزفلت في نهاية الحرب العالمية الثانية عندما قال بعبارة واضحة لا غموض فيها ولا ثورية: " قدرنا هو أمركة العالم، تكلموا بهدوء واحملوا عصا غليظة عندئذ يمكن أن تتوغلوا "[2].

* * * * *

(١) عبد الحي زلوم نذر العولمة ص٢٦٩، مرجع سابق.

(٢) انظر سيد أحمد مصطفى عمر - إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك - مجلة المستقبل العربي العدد ٢٥٦ ٢٠٠٠/٦م ص٧٣، وانظر عبد الله أحمد أبو راشد: العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١/١٩٩٩م، ص ٢١